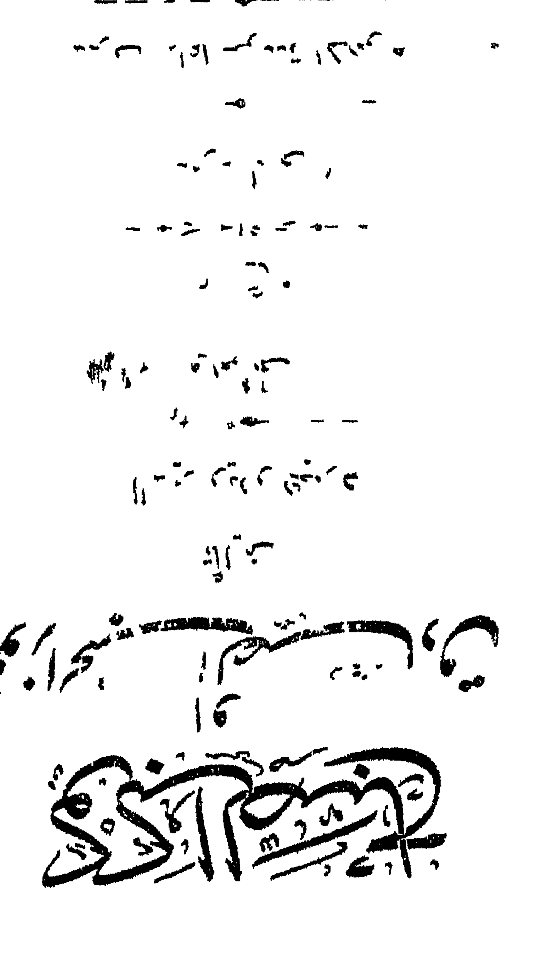




تأليف السير ريدر هجارد



ظهور « كا »

بزغت شمس الغد فأخذ الاطباء يشتغلون بتحنيط جثة فرعون فى حين كانت كركب تستشير ضباطها . وكانت المناقشة طويلة جادة اذ أحس الجميع بحرج الموقف وشعروا بالخطر الجسيم المحدق بهم

فقد هرب الامير آبى وهو يعلم جيداً انه ان وقع فى الاسر مرة أخرى لقى حتفه هو وجميع أسرته على جرائمه وأعماله السحرية التي لا يمكن ملاشاتها الا بوسيلة واحدة — هي الزواج بملكة مصر . وفوق ذلك كان لدي آبي ألوف من الجنود فى المدينة وحولها قد أقسموا جميعاً له يمين الطاعة فى حين كان حرس الملك لا يتجاوز خمسمائة جندي .

اقترح أحدهم أن يشقوا لانفسهم طريقاً من سور الهيكل ويركبوا السفن الملوكية الراسية خلفهم فى النيل . فوافق المجلس على هذه الفكرة غير أنهم لما شرعوا فى تنفيذها وجدوا أن

السفن قد أبعدت عن مكانها وأرسلت الى جهة أخرى فلم يجدو
أمامهم والحالة هـذه غير أحد أمرين فاما البقاء داخل حصون ا
الهيكل القديم و رسال الرسل لطلب النجدة والمساعدة أو السير
بسالة في المدينة والتغلب على أبوابها اذا كانت مقفلة في وجوههم
ثم الاستيلاء على السفن والسفر الى احدى المـدن التي لا تزال
باقية على الولاء أو اذا لم يكن ذلك مستطاعاً ساروا على الاقدام
الى مدينة أخرى

ووافق بعضهم على هـذا الرأي وأيد بعضهم ذلك وفي النهاية
ترك الامر لجلالة الملكة فقالت بعد أن فكرت هنيهة

ـ لا يمكن أن نبقى هنا لنموت جوعاً قبل أن تتمكن جيوش
فرعون من القدوم لانقاذنا ولا نستطيع أن نضع أنفسنا تحت
رحمة هذا الطاغية قاتل المعبود أبي . انني أوثر الموت وأنا أقاتل
في الشوارع — وهي الوسيلة التي أستطيع أن ألتحق بها بفرعون
طاهرة نقيـة وأنضم اليه في مكانه الابدي ورع الشمس — على
ان البقاء هنا ... وعليه يجب أن نخرج من المدينة عند منتصف الليل

فحنى الضابط وأعضاء المجلس رؤوسهم اجلالا وذهبوا لتنفيذ
ارادتها في حين أخذ نساء فرعون في العويل والبكاء . ووقف
المنادون فوق الابراج العالية وأعلنوا أن كوكب الصباح ابنة
آمون ذات جلال رع وجمال هتور [illegible] مصر الوحيدة
وحاكمة الارضين [illegible]

المناداة بكوكب الصباح ملكة على مصر ولكن السواد الاعظم لزموا الصمت مخافة انتقام أميرهم آبي

أرخى الليل سدوله وفي منتصف الليل أعطيت الاشارة فتفتحت الابواب وأخرجت رفاة فرعون محمولة على أكتاف مستشاريه يتقدمها شرذمة من جنود الحرس ويتبعها نساؤه وحاشيته يسيرون بخطوات بطيئة تحفهم المهابة والجلال كأنهم لا يخشون أذى . وكان الكهنة والمرتلون يرتلون اناشيد الموت ثم يليهم حملة الامتعة ثم الحرس الملكي يحيط بمركبة الملكة كوكب الصباح وكانت تلبس درعاً وتحمل ترساً وقوساً والى جانبها مربيتها آستي زوجة مرمس

سار هذا الجمع أولا دون ان يقع حادث لان الميدان الواسع الواقع امام الهيكل كان خالياً . ثم اجتاز هذا الميدان ووصل الى الشارع المؤدي الى الباب الاكبر وكان لا يزال منهم على بعد ميل على انه لما أخذ جنود الحرس يتأهبون للسير في هذا الشارع ألفوا جماعات كبيرة من الرجال في وجوههم وقد سدوا الطريق وكانوا مختفين في شوارع أخرى ثم سمعوا صوتاً يقول « وقوف »

عاد حرس فرعون اذ ذاك الى الالتفاف حول الملكة وبينما كانوا يقومون بهذه الحركة تقدم جماعة من ضباط آبي وبينهم أربعة من اولاده وطلبوا باسم الامير ان تسلم اليهم الملكة قائلين

انها ستعامل بكل احترام وان الذين معها سيؤذن لهم بالذهاب الى حيث شاؤا

فأبلغ أمر هـذه الرسالة الى الملكة فصاحت بأعلى صوتها قائلة :

ـ قل لهم ان ملكة مصر لا تخضع للثوار والقتلة ثم انقضوا عليهم واقتلوهم على بكرة أبيهم ولا تدعوا منهم أحداً

فذهب مرمس وأبلغهم أمر الملكة ثم تطايرت سهام الحرس الى قلوب اولاد آبى الاربعة والذين كانوا معهـم ثم تلى ذلك معركة حامية لم تشهد مصر لها مثيلا منذ أجيال . نعم كان رجال الحرس الملكي قليلين ولكنهم كانوا من الجنود المنتقاة وقد ذهب اليأس والغضب بعقولهم . وفوق ذلك لم تلعب كوكب الصباح دور النساء بل اشتركت مع الجنود وهم يحملون على جنود آبى فقدشوهدت فى ضوء القمر وهي واقفة كالهة غضبى فى مركبتها وهي ترسل سهامها من قوسها الى قلوب الرجال . ولم تصب الملكة ولا الذين كانوا معها ولا جياد مركبتها بأقل أذى كما لو كانت تحميها قوة غـير منظورة تعودت ضربات السيوف وتلوي عنها أسنة الرماح

بيد أن جنود فرعون على رغم بسالتهم وشجاعتهم النادرة لم يستطيعوا التغلب على الجيش الجرار الذى جمعه الامير آبى لمقاتلتهم فأخذوا يرتدون شيئاً فشيئاً وقد أخذ عددهم فى النقصان

تدريجيا الى أن وصلوا الى أسوار هيكل المعبودة « سخت » ثم
في فنائه الخارجي واذ ذاك حاولوا بقيادة البطل مرمس ـ وكان
عددهم لا يتجاوز خمسين رجلا ـ أن يدافعوا عن الابواب فقاتلوا
قتال المستميت وهم يسقطون الواحد تلو الآخر تحت وابل من السهام

وكانت كوكب الصباح قد نزلت من مركبتها و ارتكزت على
قوسها لان سهامها كلها كانت قد نفدت وأخذت تراقب سير
المعركة و ستي واقفة الى جانبها . فتغلب جنود الامير آني بعد
[illegible] عظيمة على جنود الحرس واستولوا على الابواب

فنكص من بقي على قيد الحياة من جنود الحرس اذ ذاك حول
المكان وكان عددهم [illegible] عشر رجلا وهم يتدبرون [illegible] خطرة
في الاقبية الداخلية للهيكل ثم [illegible] ردهات ثم الى سلم البرج
في هذا المكان من الجنود الآخرين [illegible] يدفعون
[illegible] حتى لم يبق منهم على قيد الحياة غير
كوكب الصباح و ستي و [illegible] روجه وكان قد أصيب بجروح
[illegible] في عدة أماكن من جسمه

ووصل الثلاثة الى فسحة صغيرة واقعة بين غرف الملكة
وغرفة ستي وحجرة [illegible] . وكان مرمس قد اشتد به
حزنه وآلامه فتحول نحو زوجته ستي وقبلها ثم حنى رأسه
[illegible]

ـ لقد [illegible] سنضطر [illegible] أن يبذله للدفاع عن

جلالتك . وسأذهب الآن لابلغ فرعون ما فعلته واتركك في يد آمون الذى سيحميك وحماية رامس ولدى . . . الوداع يا ابنة آمون الى أن أرى نجمك ساطعاً فى ظلام العالم السفلى .. والوداع يا آستى أيتها الزوجة الوفية المحبوبة

ثم صاح صيحة الحرب التى كان يصيحها أجداده الذين جلسوا على عرش مصر وأمسك حسامه بكلتا يديه وحمل على الاعداء وأخذ يفتك بجموعهم الى أن خر هو على الارض صريعاً

وكانت آستى قد غطت وجهها بكلتا يديها واستندت الى الحائط فنادتها كوكب قائلة :

ـ تعالى معى يا زوجة البطل المغوار

فقالت آستى :

ـ اننى أرملة لا زوجة أيتها الملكة . ألم تريه وقد سقط قتيلا ؟

أخذت كوكب مربيتها آستى من يدها وصعدت معها بضع درجات أخرى حتى وصلتا الى قمة البرج حيث جلست آستى وأخذت تبكي حظها . أما كوكب فذهبت الى حافة البرج ووقفت هناك تنتظر النهاية . وكانت الشمس قد أشرقت من ناحية الصحراء فى سماء صافية

وقفت كوكب فوق قمة البرج تلبس درعا لامعة وعلى رأسها خوذة على شكل تاج مصر السفلى فكانت وهى واقفة فى أشعة

الشمس الذهبية كجسم ملتهب . وقد رآها ألوف من الناس في الشوارع والزوارق فصاحوا صيحة الاعجاب قائلين

— انظروا ابنة آمون — رع ، وقد لبست ثوب البهاء والجلال !

صعد الجنود في السلم الى سقف البرج وشاهدوها أيضاً وسمعهم الأمير آبي فقال هذا وهو يلهث من شدة التعب

— اقبضوا عليها

ولكن الجنود نظروا وارتدّوا الى الوراء أمام جلال الملكة وهي ترتدي لباس الحرب ثم قالوا

— لقد تأخرنا . ان روح فرعون ترفرف أمامها

فقالت لركب أصحابها :

— اسمع أنت يا آبي يا من كنت من أمراء مصر وحاكماً على مدينة ممفيس وصرت الآن ذليلاً سفاكاً للدماء ومغتالاً لحياة أخيك الملك وحياة كثيرين — اسمع اليّ أنا ملكة مصر المدعوة نيت . لقد تمنيت عليك أيها الرجل بالموت في هذه الحياة وفي الآخرة . خط خطوة واحدة نحو جلالتي التي بنفسي أمام عينيك وعين الألوف الذين يراقبوننا من هذا المكان المرتفع الى يد النيل . سيتم امتناك قبل أن ألتحق بوالدي فرعون وأقدم الى وجه سكري امتنان به الآلهة . ستلبس حية الحمل وتقرض جسدك ... لك ثابتك . وستحرقه روح فرعون وأرواح

الذين قتلتهم فوق رأسك فلا يغمض لك جفن ولا تعرف معنى السعادة ساعة واحدة وإذا جلست على عرشك فسيكون كهذا المكان مرتفع الذي أقف فيه الآن تحيط بك هوات سحيقة من كل جانب وفي النهاية تهوي فتموت موت العار وتقبض عليك لحظة الشر وتحرك أيدي الخونة في كل الأرواح فتتلاشى في الأبد أنت وأهل بيتك وجميع من لهم بك صلة. بهذه الكلمات نطقت كوكب لتصبح لسان أبيها المغدور آمون [illegible] [illegible] ختامها.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] آخر حتى [illegible] فوق قمة البرج غير الملكة وآتي وقد [illegible] تحت قدميها والأمير آبي [illegible]

نظر إليها آي وحاول أن يتكلم [illegible] ولكنه [illegible] [illegible] المرة الرابعة فقال بصوت مبحوح

— رفقاً بي لعنتيه أيتها الملكة القادرة [illegible] تدمير. لقد علمت الليلة أن جميع أولادي قتلوا فارفعي لعنتك ودعيني في حكومتي، ومع أن رغبتي فيك أعظم من رغبتي في عرش [illegible] سأدعك تذهبين

فقالت كوكب :

— كلا. لا أستطيع. أنت [illegible] [illegible] هو [illegible] في [illegible] [illegible] من شعر أبيها المعين؟ فإن اللعنة باقية عليك.

فاضطرب آبي خوفاً وقال :

ـ سيكون ذلك يا ابنة آمون . انني لا أخشى شيئاً وسأفعل كل ما أستطيع من الشر . لقد مات فرعون عدوي وستكونين أنت زوجتي من تلقاء نفسك والاستموتين جوعاً في هذا البرج . ان الموت لايزال بعيداً وسأتمتع بالحياة سواء شئت أن تحكمي معي أو أردت أن تموتي جوعاً يا ابنة آمون

فقالت كوكب :

ـ وأنا أقول لك يا ابن ، ست ، أنك بعد موتك ستعاني آلام تلك الليلة التي لا يأتي لها صبح

ولم يجد آبي جواباً حول وجهه وذهب

وقفت كوكب الصباح بعد ذهاب آبي هنيهة تنظر الى الالوف المحتشدة في الميدان الكبير الذي دارت فيه المعركة وهم ينظرون اليها لسكون كأن على رؤوسهم الطير ثم نزلت الى غرفتها وأخذت آستي من ذراعها

انقضت سنة أيام والملكة كوكب الصباح ومربيتها آستي تعانيان آلام الجوع في برج الهيكل . وقد فرغ الماء بعد هذه المدة وكان في غرفتها كمية منه . أما الطعام فلم تذوقا شيئاً منه غير كمية من العسل جمعتها آستي من خلايا النحل من بين أحجار البرج فنفدت هذه الكمية كذلك . وقد اختارت الملكة كوكب الصباح في أيام حكمها التالية ، النحلة ، لتكون رمزاً للملكية

اعترافاً منها بالمساعدة التي لقيتها منها في تلك الايام العصيبة

قالت كوكب :

ـ تعالي يا أماه نصعد الى سقف البرج لنرى الشمس وهي تغرب وراء الافق . وربما كان ذلك لآخر مرة لانني أظن أننا نتبعها الى الابواب الغربية

فصعدتا نساعد كل منهما الاخرى وقد أصابهما الضعف والهزال. ومن هذا المكان المرتفع شاهدتا أن الامير آبي وضع سفنه الحربية حول الهيكل من ناحية النهر وأحاطه بنطاق مزدوج من الجنود في حين احتشد وراء الجنود ألوف من السكان الذين كانوا يراقبون الملكة وهي سجينة في الهيكل

فلما وقع نظرهم عليها وهي تدنو درعها اضطربت جموعهم كما تضطرب أمواج البحر ثم لزموا الصمت ثانية اذ لم يجرأوا على اعلان الحزن الشديد الذي حرك قلوبهم عطفاً عليها

رفعت كوكب الصوت وسط هذا السكوت الرهيب صوتها الرخيم وقد آذنت الشمس بالمغيب وأخذت تختفي وراء اهرامات الملوك القدماء وغنت ترتيلة المساء شكرا لابيها المعبود آمون — رع ولما تلاشت النغمات الاخيرة في الجو الهادئ ارتفعت الاصوات مرة أخرى . ثم جثم الظلام حول الهيكل فحجبها عن أعين الناظرين

ونزلت كوكب وآستي الى مخدعهما ويد كل منهما في يد الاخرى
كم صعدتا قالت كوكب :

— ان نسعد الليلة بالجبن الذي صنعته يا آستي ، فلنرقد في فراشنا حتى نموت جوعاً

أجابت آستي قائلة :

— كلا . انهم لا يستطيعون أن يتهموا الملك . . اني اعرف كيف يضعف ويأخذ بنصر المساكين . هل تذكرين الكاهن الذي ناه بها روح الهور المقدسة ؟

— نعم أتذكرها يا آستي

— لقد نظرت طويلاً الى الملك لان زوجته التي أمرت بها لي أمك لا تستعمله غير مرة واحدة ولكني الآن واثقة بأن الوقت قد حان لاستدعاء ذلك الذي يقطن في شباك لمساعدتك وثقتك من هذا الخطر المحدق بك

فقالت كوكب بذلك :

— اذن ستدعيه يا آستي ما استطعت . أما اذا لم نستطع هذا فسنموت . ولكن أخبريني عن سبيل استدعائه حين نستدعيه حالاً حتى نسمع فرعون وسيتبع أمورنا تحت الآلهة او تنقذنا :

فقالت آستي :

— لا ادري من أحد من هؤلاء يا كوكب لاني أمرت بأن

أفعل شيئاً آخر . اذهبي الى فراشك يا ابنتي ونامي لان لدىّ أعمالا كثيرة في الظلام ستعملين كل شيء اذا ما استيقظت من نومك

فقالت كوكب :

ـ نعم اذا ما استيقظت وأظن انني لن أستيقظ . هل تريدين أن تقتليني أثناء نومي يا آستي ؟ هل هذا ما أمرت به ؟ حسن . اذا كان الامر كذلك فاني لا ألومك لانى سأنضم الى احضان فرعون وأمي سور المقدسة التي حملتني وهناك في عالم السلام أنتظر رامس حبيبي . ولما كنت من ملوك مصر فانهم سيدفنونني في قبر والدي وهذا كل ما أطلبه منهم ومن هذا العالم الرديء المملوء بالآلام . غني لي حتى أنام يا أماه كما تعودت ذلك وأنا طفلة صغيرة واذا أردت لا تتأخري كثيرا في القدوم ورائي

ذهبت كوكب الى فراشها فأخذت آستي يدها المحبوبة وانحنت فوقها وسط الظلام وأخذت تغني لها أغنية النوم الجميلة

أغمضت كوكب عينيها ونامت . فأمسكت آستي الساحرة عن الغناء واستجمعت قوتها السرية وصلت حتى طهرت نفسها وصارت تجرأ على القاء التعويذة الرهيبة التى أسرتها اليها روح الهواء

ماكادت آستي تفوه بالكلمات المقدسة حتى تعالت أصوات مروعة وسط الليل واهتزت جوانب الهيكل وتكسرت الكرة السحرية المصنوعة من البلور التى كان ينظر فيها كاكو ومرنبرا

[illegible]

حيتها تبدلت في تلك الساعة اذ علمت أن نهايتها قريبة وأدركت نه ليس ثمة أقل فرق فى النهاية بين أعظم ملكة فى العالم وبين أحقر قروية اللهم الا ماهنالك من الفروق بين روحيهما

رقدت كوكب وهى كالخيال وقد كتب عليها أن تختار بين أحد أمرين : فاما الموت جوعاً وإما الزواج برجل لاتريده . ترى ماذا يعيدها اذا كانوا يسمونها كوكب الصباح ابنة آمون وابنة فرعون الوحيدة ويدفنونها بعد موتها باحتفال رسمي وينقشون اسمها بين ملوك مصر فى حين يجلس آبي المغتصب على عرشها ؟

امتلأ قلبها المسكين ألماً وحزناً وفاضت نفسها غماً وكدراً كما يفيض الاناء بالماء. ولاعجب فقد عزّ عليها أن تموت فى عنفوان شبابها وأن يغتصب تاجها وتعجز عن الانتقام لنفسها وتأخذ معها حبها العظيم الذي لم يثمر. ثم قالت فى نفسها : ترى ألتقى برامس وراء القبر ؟ وهل أتزوج به وألد هناك أولاداً بدلا من أن أحبس وهو الى جانبي على عرش مصر ؟ وهل يعيد ازوريس اليّ جسمي وأنني آمون أبي أو هل أهبط الى الظلام الابدى حيث لاشيء غير الموت ؟ آه من لى بساعة واحدة أتمتع فيها بالقوة والحرية ؛ ساعة واحدة تقضي فيها جيوشي على نفوس الثائرة وأجعل عاليها سافلها وأحطم ضمة للنيران والتي بجا كمها الملعون الى أنياب الوحوش.

أبرقت عينا كوكب لهذه الفكرة وارتفع صدرها النحيف اذ

جرى . رأت كوكب عيني الشيخ الواقف تحت قدميها قد أرقته وهذا صمته مثلها :

فعجبت كوكب ولكن لم تلبث أن ذهب عجبها فإن الوجه الجميل مال نحوها باسماً وخرج من شفتيه الرقيقتين صوت عذب رقيق – هو صوته – يقول :

– مري بما تشائين أيتها الملكة تنفذ ارادتك . انني خادمك يا كوكب الصباح وابنة آمون

فجلست كوكب في فراشها وضحكت ضحكة استهزاء لما رأت وسمعت ثم قالت :

– أتأمر ؟ أتشاء ؟ لماذا تسخر مني أيها الحلم ؟ دعني أفكر . هل تريد معرفة ما أشاء ؟ حسن . اني أطلب ما يطلبه السائل المسكين . . . أطلب جرعة من الماء وكسرة من الخبز

فأشار الخيال بصولجان مصنوع من البلور في يده الى المنضدة وقال :

– هناك ماتريدين

فحولت كوكب نظرها وهي لاتصدق ماتسمع فرأت على المنضدة كأساً من الفضة ملأى ماء صافياً وبجانبها طبق من الذهب فيه كعك من الخبز. فمدت يدها وتناولت الكأس الذهبية التي أعطاها اياها والدها فرعون وهي طفلة ورفعتها الى شفتيها وشربت ماء سائغاً أطفأ نار ظمأها ثم مدت يدها مرة أخرى

قالت كوكب :

ــ نعم أتذكر . فقد حذرتني من خطر التمساح المقدس . ولكني لم أرك منذ ذاك الوقت . من الذي منحك قوة حتى ظهرت مجسما أمامي ؟

ــ ان سحر آستي الذي منحت اياه لانقاذك يا كوكب هو الذي أعطاني هذه القوة . اعلمي انني رفيقك الى الابد ولو انك لاتستطيعين أن تريني دائماً . انني أرافقك في الحياة ، وفي الممات ألاحظك في قبرك وأحفظ لك حكمتك وجمالك وكل مالك الى يوم يبعثون . انني ذو قوة ولدي المعرفة السرية التي تقطن في داخلك مع أنك لا تدركينها وأتذكر الماضي ، الماضي البعيد الذي تجهلينه وأتنبأ بالمستقبل . المستقبل الذي لانهاية له ، المستقبل الذي لاتعرفينه . انني أرى وجوه الآلهة واسمع همسهم . اعطيني « القدر » كما لاقرأه وأنام في حمى « الابدي » الذي أرسلني والذي اليه في النهاية أعود بعد انقضاء رحلتي و انتهاء مهمتي وأنت بين ذراعي المقدسين . اعلمي يا كوكب أن سحر آستي قد ألبسني هذا الجسم السحري وأرقفني قوة آخذ على قدمي .. أن هذا خادمك المطيع

دهشت كوكب لقوله وحارت في أمرها فصاحت قائلة :

ــ استيقظي يا أماه . استيقظي لاني جننت ... الى أن رسولا سماويا يكلمني

ففتحت آستي عينيها ولما رأت الخيال الجميل وقفت ثم حنت
رأسها اكراماً له ولكنها لم تنطق بكلمة

قال دكا :

— اجلسي و صفي لي في اوب قصير . ستيقظت عند
ندائك وها قد أتيت وسأبقى حتى تذهب عني الرقية فأعود من
حيث أتيت . انك ترى أيتها الملكة مشيئة التي أنا منها لكي أنقذها
بطريقتي الخاصة . . . ها أمامك الطعام . كلي واشربي ثم تكلمي

فأكلت آستي وشربت كما شاءت كوكب ولما شبعت تلاشت
الكأس والطبق

قالت آستي بعد ذلك بصوت خفيض هادىء :

— أصغ الي أيها الشبح . هذه قضيتي : اننا هنا نعاني ألم
الجوع وينتظرني الخائن الذي ينتظر خارج الابواب فاذا عاشت
الملكة تزوج بها على رغم ارادتها واذا ماتت استولى على عرشها
لقد عجزت حكمتنا فماذا يجب أن نفعل حتى يضيء هذا الكوكب
الى أن نأتي الساعة المعينة لغروبه ؟

فلما فرغت آستي من كلامها قال دكا :

— هل هذا كل ما تطلبان ؟

فأسرعت كوكب قائلة :

— كلا . لا أريد أن أضيء وحدي . انني أبحث عن نجم آخر
ليضيء معي

فقال « رع » :

ـ هل لديكما إيمان وهل تضيمان : لانى بدون إيمان لا أستطيع أن افعل شيئاً

فنظرت آستي الى كوكب وكانت مطأطئة الرأس فقالت كوكب :

ـ إننا مؤمنتان وسنطيع ما تأمرنا به

فقال الجبال :

ـ لكن ما تقولان . سيأتي آني الآن ليسأل الملكة عما اذا كانت ترضى الزواج به أو ترضى البقاء هنا حتى تموت حزناً . وسأذهب انا الى ألتشكل الآن بشكل الملكة لأكون زوجته . . . وسأكون زوجة لم يرها رجل من قبل

ولما نطقت « روحه » بهذه الكلمات بدت على وجهها علامات البشر واتقدت عيناها ثم قالت .

ـ اريد كل الويل لرجل يتزوج بخيل يمقته

ففهمت آستي وكوكب معنى كلماتها وابتسمتا ثم قالت كوكب :

ـ اذن ستجلسين في مكاني وتجلس آني على عرش فرعون كزوجك فيجده قاسياً ؛ ولكن ماذا يصيب مصر وشعبي ؟

ـ لا تخافي على مصر ولا على عرشك يا كوكب فسيكون الجميع في هناء الى أن تعودي وتتمتعي بحقك

فقالت كوكب :

ـ والآن ماذا افعل انا ورفيقتي ؟

فرفعت صولجانها وأشارت الى النافذة المفتوحة بينهماوكانت مياه النيل الصافية تجري تحتها على بعد مئات من الاقدام وقالت :

ـ القيا بنفسيكما الى احضان النيل

فنظرت كل من آستي وكوكب في وجه الأخرى ثم قالت كوكب :

ـ هذا معناه أننا نلقي بأنفسنا في أحضان اوزوريس لانه لايسقط أحد من مكان عال كهذا ويعيش

ـ هل تزعمين ذلك يا كوكب ؟ أين ايمانك الذي وعدت به والذي بدونه لا أستطيع أن اعمل شيئاً ؟ كلا لا أزيد على قولي كلمة . افعلا أمري والا اتركاني أذهب وافعلا مع آبي ماتشاءان . اختدرا ماشئتما لانه أحد يقترب الآن منكما

وبينما كانت تنطق « روح » كوكب بهذه الكلمات سمع باب الهيكل وهو يفتح . فاضطربت كوكب ثم نفرت من مكانها وصاحت قائلة :

ـ قد استقر رأيي . لن يقال ان ابنة فرعون كانت جبانة . ان سدر اوزوريس خير من ذراعي آبي الدنستين . قد وضعت ثقتي في آمون أبي وفيك ايها الطيف

ثم حولت الخيال نظره منها الى آستي فقالت هذه :

ـ سأذهب الى حيث تذهب سيدتي عالمة بأن مرمس دائما

في انتظاري . . . ماذا نفعل ؟

فأشارت « كا » اليهما ليقفا فى النافذة المطلة على النيل ففعلتا وقد احتضنت كل منهما الاخرى ثم رفعت صولجانها وفاهت ببعض كلمات

فرلهب من النيران أمام أعينهما ومست الرياح جبهتيهما وبعدئذ لم تعرفا شيئاً

الفصل الحادى عشر

حلم آبى

فى الليلة التى استدعت فيها ستى روح كوكب الصباح كان كاكو الساحر ومرتيرا الجاسوسة التى كانت وصيفة فرعون جالسين معاً فى الغرفة العليا حيث تغنت مريرا وعدها وأخذت التمثال السحرى. وكانت مرتيرا مرتبكة الفكر حائرة تنظر بخوف إلى ما حولها فقال لها كاكو

— مالى أراك قلقة شاردة الفكر يا مرتيرا لقد سار كل شىء فى مجراه الحسن وفى التمثال السحرى الغاية المطلوبة

فقالت مرتيرا بحدة

— لقد خدعتنى أيها الساحر. لقد وعدت أن تجعل فرعون عاجزاً عن المشى فقط ولم تحدث قتله

فقال كاكو

— سكتى أيتها الحبيبة. إن التمثال كلمة لطبعة ونهاية التمثيلة وحيننا . . . حينما . هل أخطأت إذ كان الكاهن لاحق قد حاول أن يحرق التمثال على عرشه فيكبر فيقتل فرعون على هذه الصورة التى يؤسف لها :

فقالت مرتيرا

ـ كلا . ليس خطأي ولا خطأ الكاهن بل هو خطأك وخطأ آبي ائلاسين وخطأ « ست » اله انشر سيدكما . لقد تحملت تبعة عملكما لان الملكة وآستي قد عرفتا الحقيقة وسيعلمها الجميع سيجعلوني طعمة للنيران كساحرة وأرسل الى العالم السفلي ويداي ملطختين بدم فرعون الذي لم يعاملني بغير الحسنى . والآن ماذا يصيبني ؟

لم يدر « كاكر » بماذا يجيب . فقام ووقف امامها وأخذ يحك لحيته باظافره وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة

فقالت مرتيرا

ـ لا تنظر الى كالقرد واخبرني ما هي نهاية هذا العمل السيء ؟

فقال كاكر بخبث

ـ لماذا تربكين نفسك وتهتمين بمعرفة النهاية أيتها الحسناء انها دائما جيدة واعتقد أحسن الفلاسفة بانه لا يوجد هناك شيء يسمى نهاية . انك تعرفين الرمز المقدس للحية التي تضع ذنبها في فمها وتحيط بالارض وهي تبتدىء من حيث تنتهي وتنتهي من حيث تبتدىء ومن الممكن ان تشاهدينا في أي نهر . . .

فقاطعته مرتيرا قائلة

ـ لا تخض في حديث الحيات والقبور ان مجرد التفكير بها يؤلمني

- بكل ارتياح يا حبيبتى . لندع حديث المقابر والجثث ولنخض فى حديث القصور والحياة . فاعلمى أننا نأسف على موت فرعون بهذه الحالة وموت جميع حرسه وقتل أولاد آبى الاربعة ومع ذلك أقول مرة أخرى ان الاحوال سارت بالنسبة الينا في مجراها الحسن، فقد تلقيت اليوم كتابا من الامير آبي بتعييني وزيراً وأول مستشار للملك وسينفذ هذا الامر عند ما يجلس على العرش ولا بد أن يكون ذلك . وقد دعوتك اليوم باسم زوجتى رسمياً كما وعدتك فانت يا مرتيرا زوجة الوزير الاكبر والسيد العلى الشأن ورفيق ملك مصر الأكبر وهو مكان رفيع لامرأة لم تكن في المدة الاخيرة الا جارية فرعون ووصيفته

فقالت مرتيرا

- اعلم يا كاكو ان الجلوس على كرسى من الخشب البسيط أعظم هناء من الجلوس على عرش ذهبي ملطخ بالدماء . اصغ الي يا كاكو . انني خائفة . انك تقول انك أعظم عالم باسرار المستقبل حسن . انى أريد معرفة المستقبل فاكشفه لى اذا لم تكن من الجاهلين

- كيف ترميني بالجهل يا مرتيرا : هل نسيت التمثال السحرى؟

- قد يكون ذلك من محاسن الصدف ، فقد كان فرعون مريضاً منذ مدة طويلة وانتابته نوبة شديدة فى المدة الاخيرة فاذا لم تكن محتالا خداعا أرني المستقبل فى هذه الكرة السحرية .

— لا أدري . يظهر ان الآلهة لم ترد ان نعرف المستقبل
لدى أردت معرفته يا مرتير . فاقدمي بما تتمتعين به الآن

فصرخت مرتير وقالت

— قد لا أتمتع به الآن . طرماسدي . . . ثم مجروح
وأسنان مكسورة ... وقد أصبحت ذميمة خلفه انا التي
كنت جميلة . لقد كسر فرعون السكرة ... التي منحها في
وجهي . لقد رأيته فعل ذلك و... ذي وصمة ...
... جاريت أيها الخائن على غدرك هذا

ثم هجمت على كأس ... الحمراء وضربته بها على
رأسه لا ... سمعيته

في ذات ... دمح ... وحس ... الامير ... وهو
... على ... ذاتي ... على ...
وهو ... من شدة الخوف و ... ذلك

— ماذا يجرى هنا : هل هذه الطريقة التي ... تدرس أسرار
سحره و ... يا كاكو .

فحاول الساحر أن يحيي رأسه ... الامير ... فنان
مرتيرا وهي ... تحاول أن تضربه ... حمراء ثم قال

— كلا أيها الامير ... . روحي ... الا . فقد
... هذه ... ساحر ... سيط أصابه
... مرتيرا ...

— أعد قولك هذا على مسامعي مرة اخرى ألقِ بك من هذه النافذة فلا ينفعك سحرك . أنظر أيها الامير ما فعله بي سحره الملعون

ثم أرته السنين المكسورتين وقالت :

— وضع هذا الشرير روح فرعون الذي أغراني على موته داخل الكرة السحرية حيث رأيته مدرجاً في أكفانه ثم جعل فرعون ليفني يكسر الكرة ويرمي بشظاياها

فصاح آبي قائلا :

— الزمي الصمت أيتها المرأة والا أمرت بضرب قدميك حتى تؤلمك أكثر من آلام فمك . ماذا فعل روح فرعون ؟ انني قادم الى هنا لأتحدث معك يا كاكري عن هذا الروح

— أيها الامير المبجل حاكم الشمال ابن الملوك وارث الملك ..

فصاح آبي قائلا :

— كفى ذكر هذه الالقاب أيها المخادع واصغ الي لأنني في حاجة الى مشورة واذا لم تستطع بحثت عن رجل سواك . اعلم اني كنت الآن نائماً في فراشي فرأيت حلماً مروعاً . ذلك اني رأيت في المنام اني استيقظت من نومي فشعرت بجسم نائم بجانبي فتفقدته فاذا هو جثة أخي فرعون مدرجة في أكفانه . . .

فقاطعته مرتيرا قائلة :

— كما رأيته داخل الكرة . هل رشقت بالحجارة كذلك أيها الامير؟

- كلا أيتها المرأة انه فعل ماهو أدهى وأمرّ ، فقد قال لى - لقد سببت لى الموت الشنيع أنت وتلك المرأة التي ربيتها بين أحضانى فكانت حية قاتلة وخادمك الساحر الخبيث شريكها ، وتركت ابنتى ملكة مصر وابنة آمون تعاني آلام الجوع فى ذاك البرج مع مربيتها الشريفة حتى تموت أو تتخذك زوجاً لها - أنت عمها الذى تطمع في جمالها وعرشها . ان لدىّ الآن رسالة من الآلهة التى تدون هذه الامور فى سجلاتها الابدية لتتلى فى يوم الدينونة عند مانجتمع معاً وندلى اليها بشكوانا واوزوريس المخلص واقفاً على اليمين « وآكل الارواح » على اليسار وهذه هي الرسالة ياآبى — :

اذهب الى هيكل « سخت » وقت الفجر حيث تجد تلك الملكة الحسناء التى تريدها فخذها زوجة لك كما تريد لانها لا تقول لك كلا . تزوج بتلك الحسناء حالا امام أعين الشعب واحكم بحق هـذا الزواج حتى تلتقى الشاب رامس بن مرمس - الذي قتلته أيضاً - ومعه شحاذ معين لديه رسالة أخرى لك « اصعد في نهر النيل الى ضيبة وادفن رفاتى فى القبر الفاخر الذي اعددته واحاس مكانى و فعل ما تأمرك به الملكة الحسناء التى تتزوج بها وعليك أن تطيع أمرها (اهاء بي أمرها اجباد) اسرع . اسرع ياآبى انتحفر لك قبراً بجوار قبرى لان روحي هذا سيزورك

بعد موتك كما زارك هذه الليلة» . . . وبعد ذلك أمسك روح فرعون عن الكلام ومكث هنيهة ينظر الي بعينيه الباردتين الى أن دخلت أرواح أولادي الاربعة الذين ماتوا ـ الغرفة ورفعت روح فرعون وحملته الى الخارج . ثم استيقظت وانا أنتفض كما تنتفض الريشة في مهب الريح وقد أتيت مسرعاً الى هنا بعد ان صعدت الف سلم لاحدك تتنازع مع هـذه الجارية الوضيعة . حذاء فرعون العتيق الذى خلعته من قدمي منذ زمان

همت مرتيرا بالجواب ولكن الرجلين نظرا اليها شذراً فذهب غضبها ولزمت الصمت

عاد أبي الى الكلام فقال :

ـ فسر لى هذا الحلم أيها الرجل وعجل لان آلامه توخزني واذا لم تستطع جردتك من ونلائلك وألهبت جسـمك بالسياط حتى تتوب الى رشدك . انك أنت الذى سرت بي في هـذه الطريق فحافظ علي والا قطعت جسمك اربا

ـ ادرك كاكو الخطر المحـدق به فالتجأ الى ضروب المكر والخداع وقال :

ـ نعم أيها الامير انا الذى سرت بك في هذه الطريق . طريق العظمة وانا الذى حافظت عليك من البداية . ولولاي لكنت خائناً منسياً . تذكر تلك الليلة التى جرك غرورك فأردت أن تقضي على فرعون فأرجعتك عن غيك . تذكر كيف كانت

حكمي رائدك في كثير من الامور التي لو تركت فيها وشأنك لاصابك الفشل او الدمار . لاريب أيها الأمير في أن نجاحات أو سفوطك سينوفماك في المستقبل على اصحي لك كما كان الامر في الماضي . و لآن اذ كنت ترى غير ذلك فابحث لك عن رجل حكيم غيري تسترشد بآرائه وانتظر الى النهاية . اعلم يا آبي ان سياط مصر كلها لا تستطيع ان تلهب جسمي . والآن هل تريد ان انكلم او تبحث لك عن حكيم آخر ؟

فقال آبي :

ـ تكلم فانك صيد في شرك واحد يصيبني مايصيبك ويصيبك مايصيبني . لاتخف سأعطيك ماوعدتك به

فقال كاكو بوجه عبوس :

ـ قد وعدتني بان تلهب جسمي بالسياط ولكن لندع ذلك الآن ولنتكلم على الرؤيا التي رأيتها فاعلم انى رأيت معناها حسناً . كيف جاءك فرعون ؟ انه لم يظهر لك في شكل روح حي بل في شكل رجل ميت . ومن يهتم بالاموات ؟

فقالت مرتيرا وكانت تغسل جراحها :

ـ انني أخافها فقد جرحت فمي وكسرت اسناني

فقال آبي مغضباً :

ـ ليتها قطعت لسانك . استمر في حديثك يا كاكو ولا تعبأ بقول هذه المرأة

فاستطرد الساحر قائلا :

ـ ماذا كانت رسالته ؟ انها تأمرك بزواج ملكة مصر والحكم على البلاد بما لها من الحقوق والجلوس في مجلس الملوك . أليست هذه هي أماني نفسك التي تسعى للوصول اليها منذ اعوام ؟

ـ نعم ياكاكو ولكنك نسيت ماقاله عن رامس والقبر الذي لابد أن أحفره وغير ذلك

ـ تقول رامس ؟ ان مرتيرا تستطيع أن تحدثك عنه أيها الامير . انه هو الفتى الطائش الذى قتل الامير « أماتيل » وأرسلته كوكب الصباح الى الاراضي الجنوبية لكي يقتله البرابرة هنالك واذا أتى مع الشحاذ الذى يحمل اليك الرسالة ـ وهو أمر بعيد الوقوع ـ جازيته بما يستحق

ـ نعم ياكاكو ولكن كيف تجازيه الملكة ؟ ان هنالك اشاعات . . .

فقاطعه الساحر قائلا :

ـ كلها أكاذيب أيها الامير . كانت الملكة تود قتله في الحال لولا نفوذ أبيه مرمس وأمه آستى . ان رامس هذا من سلالة الملوك فلاتريد كوكب أن يشاطرها كوكب آخر ينافسها ما لم يكن زوجها الشرعي وهو أنت . واذا جاءك رامس أو الشحاذ برسالة فانها ستتضمن المناداة بك ملكا على مصر وبلاد الحبشة

وبعد ذلك تستطيع قتله والاستيلاء على الارث

فقال آني بشيء من الابتهاج :

ـ ربما . ومع ذلك لا أخشى تلك المخاطرة . ولكن ماقولك في ما ذكره فرعون عن القبور ؟

ـ لما كان فرعون قد صار من عداد الاموات فان روحه لاتفكر بشيء غير القبور ودفنه باحتفال رهيب وهو مايجب أن تفعله اذا أردنا أن نسلك سبيل الحكمة والكياسة . وفيما عدا ذلك ليس هناك مايخشى فاننا لابد نأتي جميعاً الى تلك القبور خصوصاً الذين شاهدوا منا فيضان النيل ستين مرة أو اكثر مثلي . وسنعالج الشؤون الخاصة بالقبور اذا ما أتينا اليها . أما الآن فعلينا أن تقنع بالحياة وما تقدمه لنا من الثمار الطيبة كالعروش وحب أجمل فتاة على الارض وغير ذلك . احصد قمحك أيها الامير اذا ما طاب ولاتهتم بمحصول العام القادم . ان ابنة فرعون أو ابنة آمون هي شغلك الشاغل وليست روح فرعون

فقال آني :

ـ نعم أيها العالم النحرير هي شغلي الشاغل ولكن بقي سؤال واحد وهو لماذا تكلم الروح عنها بأنها جماد ـ كما لو كانت ليست امرأة من البشر ؟

فتردد كاكو لحظة لان النقطة كانت دقيقة ثم قال ببسالة

ـ لان هذه المالكة كما أعتقد أيها الامير هي اكثر من امرأة

فانها ابنة آموز نفسه وقد دعيت لذلك بالملكة الحسناء

ثم استطرد كاكو بحماسة لم تكن فى نفسه وقال :

ـ آه . ما أجمل نصيبك يا ملك العالم وما أسعد الطريق التي فتحتها لقدميك الظافرتين . انني أنا الذى أريتك كيف توقع فرعون فى ممفيس وهو غرسهن الانصياع وأنا أو بالحرى مرتيرا هي التى خلصتك منه . والآن انا الذي تهددني بالضرب بالسياط . لقد فسرت لك هذه الرؤيا السعيدة التي زعمت انها مملوءة بالمخاوف ففكر فى نهايتها أيها الامير وأزل عنك الشكوك . . . من حمل روح فرعون من الغرفة ؟ ان أرواح أولادك الاربعة هى التى حملتها . أليس هذا دليلا على أن الفوز سيكون لبيتك

فتأوه آبى وكان يحب أولاده ثم قال :

ـ لانصيب لهم فى العرش على الاقل ياكاكو لانهم ماتوا

ـ ماهذا الكلام أيها الامير . ان أولادك ماتوا ميتة الابطال وقد حزنا على فقدهم . لقد خدمك السعد فى هذه المسألة أيضاً لانهم لو عاشوا لخلقوا لك المشاكل ولوقع النزاع بينهم وبين الاولاد الذين ستلدهم لك ملكة مصر

فلوح آبى بيده وقال بحزن :

ـ قد يكون ذلك ولكن الملكة لم تصر بعد زوجتي ، هى تعانى آلام الجوع فى ذلك البرج ولا ادرى ماذا أفعل لو حاولت الدخول عليها عنوة فتاك نفسها كما أنذرت واذ تركتها

ـ البرج ؛ ألم يكف ماصعدت الليلة من الدرجات ؟ هيا بنا

سار الجميع الى السلم الضيق فصعد كاكو بخفة في حين أخذ الضباط يدفعون آبى الضخم وراءه حتى وصلوا الى الدور الثالث فأمرهم آبى بالوقوف وقال بصوت خافت :

ـ لاتسرعوا . ان جلالتها تقطن فى الدور التالى من هذا البرج الممقوت . ولما كانت آسى معها فانها لاتضطرب .احذروا أن تخيفوها لظهوركم فجأة مخافة أن تهرع الى قمة البرج وتلقى بنفسها فى النيـل كما أقسمت لى بذلك . انتظروا قليـلا وسأناديها اذا ماسكن اضطرابى ...

وبعد هنيهة نادها قائلا :

ـ لاتقتلى نفسك جوعاً أيتها الملكة فى هذا المكان الموحش وتعالى عيشى فى هناء ورغد مع خادمك الامين

نادى آبى مرتين وثلاثاً وأربعاً دون أن يجيبه أحد فدب الخوف اذ ذاك فى قلبه وقال :

ـ لابد أن تكون قد ماتت وستطلب مصر دمها مني .

اصعد ياكاكو وانظر ماذا جرى فانك ساحر لاتخشى شيئاً

فتردد كاكو الى أن ثار غضب آبي ورفع عصاه ليضربه فصعد الساحر وكان يقف عند كل درجة ليصلى ويتوسل الى أن وصل الى غرفة الملكة فجثا على ركبتيه وأطل برأسه فلم ير شيئاً ووجد الغرفة خالية فزحف الى الغرفه المقابلة وهي غرفة آسي فوجدها

خالية كذلك . واشتد خوفه من الامير آبي فاستجمع قواه وصعد الى قمة البرج ولما لم يجدها عاد وأبلغ الامر الى آبي فصاح هذا قائلا:

ـ انها وحق المعبود « بتـاح » اما أن تكون قد هربت لتصب جام غصبها عليّ أو القت بنفسها فى النيل لتنتقم الآلهة مني وهو أمرّ وأدهى . هل هذا تفسيرك للاحلام أيها الخادع الماكر ؟

فقال كاكو :

ـ انتظر حتى نتحقق من الامر أيها الامير . هيا نبحث فى الهيكل فقد تكون في مكان آخر

فأخذوا يبحثون في الهيكل غرفة غرفة الي أن وصلوا فى بحثهم الى القاعة الداخلية أمام المذبح حيث كان فرعون قد وضع عرشه أثناء وجوده بمدينـة ممفيس . وكانت هذه القاعة مظلمة لا يتسرب اليها النور الاّ من فتحات صغيرة فى السقف فكانت وقت شروق الشمس لاتزال مظلمة بحيث كان الباحثون يتخبطون من عمود الى عمود في الظلام . على انه لم تمض غـير مـدة وجيزة حتى انبعث شعاع من أشعة الشمس المشرقة من كوة في الحائط الشرقى فأضاء مقصورة المعبود « سخت » فظهر العرش الموضوع أمامه وقد جلست عليـه كوكب الصباح ملكة مصر تحفها المهابة والجلال . وكان الثوب الملكي الذي ترتديه يتلألأ فى الشمس وكذا صولجانها وحليها وتاجها المزدوج . على أن عينيها الساحرتين كانتا تتقدان بحالة مروعة بحيث دبّ الخوف

الى قلوب الذين رأوها أولا وقالوا انها الهـة وليست امرأة من البشر . ولا عجب فقدكانت جالسة بسكون وجلال وجمال كالهة فازت على الموت لا كفتاة عانت آلام الجوع مدة سبعة أيام داخل برج من الابراج

انتفض الذين رأوها ورجعوا الى الوراء واختلط الحابل بالنابل وهرعوا كقطيع من الغنم وأخذوا يتهامسون الى أن وقع ضوء الشمس عليهم كذلك . أما الملكة فظلت جالسة على عرشها تنظر اليهم كما لو كانت غارقة في فكر عميق

وفي النهاية استجمع كاكو الساحر قواه وقال مخاطباً آبى :

ـ هاهي عروسك التي لم يحظ بمثلها رجل . اذهب اليها وخذها

فردد الجمهور صدى قوله وصاحوا قائلين :

ـ اذهب اليها أيها الامير وخذها

فلم يجد آبى مناصاً من التقدم وهو ينظر الى الوراء الى أن وصل الى سلم العرش فوقف وهو مطأطيء الرأس

ووقف الامير على هذه الحال مدة طويلة الى أن أعياه الملل اذ لم يعرف ماذا يقول وفي النهاية سمع صوتاً عذباً رقيقاً يخاطبه من فوق العرش قائلا :

ـ ماذا تفعل هنا ياسيد ممفيس ؟ لماذا خرجت من السجن الذى وضعك فيه فرعون ؟ آه . لقد تذكرت . ان مرتيرا جاسوستك قد أخرجتك . أليس كذلك ؟ لماذا لا أراها هنا مع

كاكو الساحر الذى صوّر التمثال المسحور الذي جرّ فرعون الى الهلاك .؟ لم تأت تلك الخائنة الى هنا لانها تداوي شفتيها اللتين جرحتا أمس قبل أن تذهب الى كاكو ليفسر لك حلماً رأيته ؟

فقال آني :

ـ من أين علمت هذه الاشياء؟ هل لديك جواسيس في قصرى أيتها الملكة ؟

ـ نعم يا عماه لديّ جواسيس فى قصرك وفى كل مكان . ان ما يراه آمون تعرفه ابنته . لقد جئت الآن لتتخذني زوجة لك أليس كذلك ؟ حسن . انني فى انتظارك . انني متأهبة . افعل ذلك اذا استطعت !

فقال آني باهجة المرتاب :

ـ اذا استطعت ؟ ولماذا لا أستطيع أيتها الملكة ؟

ـ عليك أن تجيب على هذا السؤال يا أمير ممفيس . ومع ذلك قل لى لماذا انفجرت الكرة السحرية من تلقاء نفسها فى غرفة كاكو ليلة أمس ولماذا تزعم أن كاكو فسر لك كل ما تضمنه حلمك وهو الساحر الذى لا يقول الصدق الا اذا هدد بالجلد ؟

فقال آني وهو ينظر الى كاكو بغضب :

ـ لا أعلم أيتها الملكة : ولكني أستطيع أن أتكلم مع كاكو فيما بعد اذا كانت هناك حاجة

ـ كلا أيها الامير . انك لا تعرف شيئاً سوى أن العصى

[illegible]

وبينما كانت تتكلم ببطء نزلت من عرشها كذلك ببطء دون أن يشعر بها أحد ثم وقفت أمامهم وأخذت تحرك جسمها وقدميها وتغني

لم يتذكر أحد كلمة واحدة من غنائها ولكنها فتحت في كل قلب من قلوب الحاضرين باباً فتذكر أيام الشباب ورأى كل منهم أمنية حياته ترقص أمامه فطار قلبه فرحاً وسحر فؤاده

فرغت الملكة من رقصها وتلاشى صدى صوتها الرخيم في هيكل المعبودة « سخت » التي كانت تماثيلها تراقبهم وتبتسم لهم ابتسامة الانتقام المرة

وقفت الراقصة الحسناء أمامهم وضحكت ضحكة رقيقة ثم قالت

ـ الآن اذهب أيها الامير المقدس واذهبوا أنتم كذلك أيها الرجال . اذهبوا جميعكم ودعوني في عزلتي الى أن يرسل فرعون في طلبي لاشاطره حكمه الجديد الذي ورثه فيما وراء الغرب

على أنهم لم يذهبوا ولم يستطيعوا التحرك لو أرادوه لان قوة مجهولة ربطتهم بها . أما آبي فانه لم يحول عينيه عنها ثم مرغ خديه على قدميها وأخذ يبث اليها لواعج غرامه دون أن يكترث بانتقادات رفاقه الذين أخذوا ينظرون اليه وقد دبت عوامل الغيرة في قلوبهم . وكانت الملكة تصغي الى أنينه وشكواه وهي تبتسم دائماً ابتسامة كانت غاية في اللطف ولكنها مع ذلك كانت خالية من معنى الحياة

ولما فرغ آبي من توسلاته وقد أنهكه التعب قالت :

ــ هل تغلبت عوامل الحب الآن على خوفك كما أحب الامير أماتيل كوكب آمون بعد ما فتنت له ؟ لتكن أسعد منه حالاً أيها الامير المبجل . سيقام في ممفيس عرس ملكي عظيم لم تشهد له مصر مثيلا وستجلس الى جانب مالكة مصر وتضيء في نورها . ألم تنل هذا المكان بحق الدم ؟ ألم يعدك فرعون به في منامك ؟ زال ان شمس هذا اليوم الجديد قد أشرقت فلنتمتع بنورها ونودع هذا المكان المظلم

—

الفصل الثاني عشر

زواج « الملكة »

ذاعت اشاعة غريبة فى مدينة ممفيس. فقيل ان الملكة خضعت وانها ستتزوج بالامير آبى وأنها فى القاعة البيضاء تنتظر عرسها وتحدث الرجال بالنبأ فى الشوارع فأقسموا انه غير صحيح قائلين كيف تتزوج ملكة مصر المدهونة بالزيت بقاتل أبيها ؟ ألم يكن يجدر بها أن تموت فى سجنها في البرج حيث شاهدها الناس ليلة بعد أخرى وهي واقفة على سطحه تئنى ؟

وكانوا يعتقدون في قلوبهم انه ينبغي أن تموت الملكة النقية ابنة آمون التى أوقعها القدر فى شرك من الشر . اعتقدوا هذا الاعتقاد قائلين انها ستخلف بذلك وراءها قصة تفخر بها مصر الى الابد . بيد أن النساء سخرن من قولهم قائلات انها من النساء فلا يحتمل أن تترك الملك ومظاهر العظمة والجاه لتلقى فى ظلمة قبر منسى وعلى ذلك لا بد أن يكون النبأ صحيحاً . ثم قلن انها ستجلس في مكان ثانوى لان آبى سيكون زوجاً قوي النفوذ عليها وانها تفضل أى مكان على الموت وان آلام الجوع

قد وخزتها في الهيكل القديم نهذبت من أخلاقها فلا بد أن تذعن لارادة عمها الذى سيكون فرعون مصر

اشتد الجدال والنزاع . وكان الجميع حتى الذين يضمرون الحقد للملكة يجلونها فى نفوسهم ويضعونها موضع الاكبار والاعزاز . وقدساءهم أن يعلموا انها وهى الملكة المقدسة تطاطئ الهام لنير القدر وتبيع نفسها طلبا للنجاة وطمعاً فى مقعد على سلم عرشها . بينا كان النسوة يسخرون من أقوال رجالهن ويقلن انها ليست أحسن من غيرها من بنات جنسها

على أنه لم يطل حبل الجدل فقد ظهر المنادون وأخذوا يصيحون فى جميع أنحاء المدينة قائلين ان حفلة الزواج ستعقد فى القاعة الكبرى البيضاء قبل غروب الشمس بساعة . فضحك النسوة ابتهاجاً بفوزهن وسكت الرجال

حانت الساعة المعينة فغصت القاعة بمن استطاع الدخول من الشعب وازدحمت الالوف العديدة من الناس فى الرحبة الخارجية وفى جميع الطرق التي تؤدى اليها

وضع عرشان فى صدر القاعة أعد أكبرهما وأفخرهما للامير آبى والاصغر للملكة كوكب الصباح . وقد وضع آبى هذا النظام لان كاكو الماكر أشار عليه بأن يظهر للشعب من أول مرة انه هو الحاكم وليست ابنة فرعون

وفي الساعة المعينة دقت الطبول من فوق جميع الهياكل

ثلاثاً تم تلاشى صداها في جو ساكن حار فكان ذلك اعلاناً على أن آبي تدوضع يده في يد الملكة كوكب الصباح فى هيكل هاتور بحضور كهنة جميع الآلهة

ذاعت اشاعة أخرى بين الجماهير كانت كدائرة أحدثها سقوط حجر فى الماء فكانت تزداد اتساعاً كلما تناقلتها الالسن . فقيل ان عجائب حدثت في هيكل هاتور ذلك أن الكاهن الاكبر ناول العروس زهرة — زهرةهاتور — فتفتحت في يدها . وقيل أيضاً ان ساق هذه الزهرة تحول الى صولجان من الذهب وتحولت الزهرة نفسها الى حجر من الياقوت الجميل

ولم يقتصر القول عند هذا الحد بل قيل ان آبي عند ما قدم الحمامة البيضاء الى « هاتور » في معبدها حسب العادة المتبعة انقض عليها صقر وقتلها وهى فى يده ثم طار بعد أن ألقاها ميتة على ركبتي الآلهة . وقد تساءل الناس فيما بينهم قائلين أى طائر يجرأ على مثل هذا العمل ان لم يكن مرسلا من « هورس » بن « آمون — رع » ؟

على أنه لم تلبث أن نسيت كل هذه الاشياء اذ علم الناس أن العروسين على وشك القدوم الى « القاعة البيضاء » ليظهرا أمام الشعب وليقدم الاشراف والعظماء والقواد لهما فروض التبريك والاحترام . وقد ظهر أولا الكهنة في الطريق المؤدية الى هيكل هاتور وهم يرتدون ثياب الكهنوت ويرتلون أثناء سيرهم يتبعهم

[illegible]

بدت الملكة في شكل لم يكن يتوقعه أحد . فقد زعموا أنهم سيرون فتاة شاحبة اللون لا يزال الحزن يملأ عينيها وآثار الدموع على خديها ، فتاة قد فتك بها الجوع والخوف من الموت ونكد الطالع فاشترت نفسها بزواج الذي غلبها . ولكنهم لم يروا شيئاً من ذلك . فان كوكب آمون لم يسطع بمثل هذا البهاء من قبل ولم يروا مثل تلك العظمة والجلال في عينيها الزرقاوين وهما تنظران اليهم كأنهما تريدان معرفة السر الدفين في قلب كل واحد منهم . وكان قوامها لا يزال فتاناً ووجنتاها متوردتين ووجهها يملوه حياة وقوة وجلالا

لم ينطق أحد ببنت شفة وأخذوا ينظرون اليها . فتبسمت ابتسامة رقيقة رحيمة بعينيها الهادئتين الى أن طأطأوا رؤوسهم حياء وفي النهاية سارت وسط هذا السكون الرهيب الذي لم يجرؤ أحد على تعكيره فسمعوا حفيف ثوبها الحريري وأذيالها تتجرجر على أرض القاعة المصنوعة من المرمر

حاول اثنان من رجال التشريفات أن يتقدماها الى عرشها ولكنها أمرتهم بالرجوع وقالت بصوت جهوري

- كلا . لا يقود أحد من شعب مصر الكبير ابنة آمون وملكة مصر في مكانها الخاص بها . فسوف تجلس على عرشها بقوتها الآن وفيما بعد

ثم صمت وسط هذا السكون التام العرش الاكبر الذي أعد

للامير آبي وجلست عليه وانتظرت

سمع اذ ذاك تذمر بين رجال آبي وهمس كاكو في أذن الامير في حين لزم الشعب السكون والصمت

ضرب الامير آبي الارض بقدميه ثم أصدر أوامر لم يجر أحد على تنفيذها فتقدم هو الى الامام وخاطب الملكة بصوت خشن قائلا :

– انك تجهلين ذلك أيتها السيدة بلا ريب . ولكن اعلمى أن هذا المكان مكانى . أما مكانك فهو عن يسارى فاجلسي عليه

فقالت بهدوء :

– ولم ذلك أيها الامير آبي ؟

– لان الزوج مفضل على الزوجة . . . والغالب على المغلوب

فكررت قوله قائلة :

– والغالب على المغلوب ؟ ألم يكن يجدر بك أن تقول — والقاتل على القتيل وابنته ؟ كلا . أيها الامير آبي انك مخطئ . ان ملكة مصر بحق القداسة تفضل على خادمها حتى ولو شاءت ارادة الآلهة التى جئت لتنفيذ ارادتها أن تأمرنى بأن أدعوك زوجاً حتى تعرف هذه الارادة جيداً . تعال قدم الى ملكتك فروض التجلة والاحترام ومن ورائك هؤلاء الذين تجرأوا على أن يشهروا السيف في وجهها

فحدثت ضوضاء عظيمة تنطوى على الغيظ والهلع معاً . وكان

[illegible]

حاكمة على البلاد ! انها ساحرة تتغذى بالهواء والارواح الشريرة .
اقضوا عليها والا دعونا نفتك بها نحن
صرخوا الى أن بحت أصواتهم ثم لزموا الصمت
وكان أبي في خلال تلك المدة واقفاً يتردد تارة ويميل بأذنه الى كاكو وهو يهمس في أذنه تارة أخرى الى أن استجمع قواه في النهاية فنظر الى الملكة وقال :

ـ انك تسمعين وتنظرين . ان شعبي لا يثق بك وهم قوم غلاظ لا أستطيع كبح جماحهم طويلا فاذا وصلوا اليك قطعوك ارباً ومزقوا جسمك هذا الجميل كما مزق «ست» جسم اوزوريس .
وكانت الملكة الى تلك اللحظة جالسة على عرشها ساكنة كأنها لا تهتم بشيء . فنظرت اليه وقالت :

ـ انك لا تدري كيف تضرب الامثال أيها الامير . ان اوزيريس قام ثانية . أليس كذلك ؟
ثم اضطجعت الى الوراء ولزمت الصمت ثانية
فقال أبي :

ـ هل لازلت تريدين أن أدهك تلك فروض الاحترام أيتها الملكة مع اني زوجك ؟
فأجابته باستخفاف :

ـ ولم لا ؟ لقد تكلمت . ان أمر فرعون لا يتغير . ومع انني امرأة فانني . . . ملكة مصر

فثار غضب آبي وتحوّل نحو رجاله ليأمرهم بالقائها عن العرش على أنها كانت تراقبه فرفعت صولجانها فجأة وتكلمت بصوت جهوري رنّ في جوانب القاعة ووصل الى مسامع الذين كانوا محتشدين على سلالم القاعة وفي الخارج قائلة :

ـ بيني وبينكم أمر أيها الشعب وهو : هل ترضون بأن أحكم أنا ملكتكم على مصر كما حكم آبائي من قبل أو تريدون أن يحكم ذاك الرجل الذي اتخذته زوجاً لي بأمر آمون ؛ انكم تريدون أيها الشعب أن يحكم آبي عليكم لانه من سلالتكم ودمكم يجري في عروقه . تريدون أنتم الذين اغتنم حياة أبي المعبود أن يجلس آبي على العرش وأن أكون له أمة ألد له أبناء من دمي الملكي النقي . انظروا انكم جم غفير وقد تركني رفاق مصري . وحيدة كشاة بين الذئاب ، بين ألوف من الذئاب الكاسرة التي فتك بها الجوع . فكيف اذن أستطيع أن أتغلب عليكم ؟

فصاح رجل منهم قائلا :

ـ انك لاتستطيعين . انزلي ايتها الشاة واركعي أمام الاسد آبي والآن مزقنا لحمك نحن الذئاب . اننا لانعترف بك نحن الذين يغلي دم الهكسوس (الرعاة) في عروقنا . لانعترف بك مادامت المسلات التي أنشأها ملوك الرعاة العظام قائمة . انزلي وتخلي مكانك بين نساء سيدنا يا ابنة الحراء

فرددت الملكة قولهم قائلة .

ـ آه . مادامت المسلات التي أنشدها ملوك الرعاة اللصوص قائمة لا تعترفون بي انا ابنة فرعون، ابنة الحرام

ثم أمسكت عن الكلام . والظاهر أنها اضطربت فتنهدت ودقت يداً بيد ثم قالت بصوت مضطرب :

ـ انني امرأة بينكم وقد مات أبي فرعون والآن تأمرونني أن أتخلى عن منصبي وأن أحكم من الآن فصاعداً بواسطة الرجل الذي أوقع فرعون في الشرك وقضى عليه . . . ترى ماذا أفعل ؟

فقال أحدهم باستهزاء :

ـ كوني امرأة وفية وأطيعي زوجك يا ابنة الحرام

فنظرت الملكة الى المتكلم — وهو ضابط من ضباط آبي الذين اشتركوا في مقاتلة حرس فرعون ـ نظرة غريبة فلاحظ الرجال الذين كانوا بجانبه في الحال ان شفتيه استقعتا وأن عزيمته قد خارت بحيث كاد يغمى عليه لولا ضغط الذين حوله . على أنه لم يلبث أن استرد قواه وسأل الكهنة الذين كانوا على مقربة منه أن ينضم اليهم بحجة أنه لم يطق احتمال الحر بين الجماهير فثنى أحدهم رأسه وأفسح له الطريق فانضم اليهم

تكلمت الملكة ثانية فقالت وهي لا تزال تنظر الى الضابط .

ـ لقد أهنتم بكلماتكم السيئة ـ ملكة مصر المدهونة نانريت التي توجت وقبلها المعبود نفسه في أقدس مكان من هيكله . وسع

ذلك فان هذه ساعتكم . يجب أن احتمل ما تقولون اذ ليس لي أصدقاء في ممفيس . آه : ترى ماذا أفعل ؟ ـ ثم دقت يديها ثانية ـ لقد افسدوا لي أيها الشعب ان آمون أبا الالهة قد بث في من روحه عند ولادتي وأقسم بانه يساعدني وقت شدتي وينقذني وقت ضيقتي فدعوني اذ أصلي الى آمون . انظروا ـــ ثم اشارت الى الامام ـــ ان قرص الشمس كاد يحتجب . فدعوني اصل الى آمون قبل أن تتوارى وراء ابواب الغرب فاذا لم تأتني المساعدة وضعت نفسي تحت امرتكم وقدمت فروض التجلة والاحترام الى هذا الامير الجليل الذي سخر من أخيه فرعون وقضى عليه بمساعدة ساحره كاكو وجاسوسته مرتيرا

وكان آبي لايخاف آمون بل خشي أن تحدث ضجة تتدخل في خلالها زوجته الجديدة الجميلة أو تمس باذى فقال

ـ نعم أيها الشعب . أعطوها المهلة التي تطلبها فاذعن الشعب لامره فوقفت الملكة ورفعت ذراعيها وعينيها الى السماء وأخذت تصلي بصوت مرتفع قائلة

ـ اصغ الي يا آمون أبي في بيتك كما حلفت ان تفعل . انك تعلم موقفي الحرج أيها المعبود . هل شاءت ارادتك أن تذل ابنتك ويحط من كرامتك أمام هذا الرجل الذي قتل ملكك وأخاه وأمرتني أن اتخذه زوجا لي ؟ اذا كانت هذه ارادتك فانني سأطيع ولكن اذا لم تكن كذلك فاظهر كلمتك بقوة أو باعجوبة واجعله هو ورجاله الذين يسخرون من جلالتي ويقولون

[illegible]

وامتدت يداها نحو الشرق وقبضتا على قرص القمر المشرق

دب الهلع في قلوب الذين شاهدوا هـذه السحابة فصاح أحدهم قائلا :

ـ هذه « ازيس » وقد أمسكت القمر بيديها

وقال آخر

ـ انها « نوت » الآلهة التي تطل على العالم

وكانوا يتكلمون همساً ومع ذلك كانت الملكة تسمع أقوالهم وهي جالسة على عرشها وقد تغير وجهها لاول مرة اذ ارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة

أخذ كا كو يهمس في أذن آبي وكان الخوف يتجلى في عيني كل منهما . ثم أشار الساحر بأصبعه الى نجمين لمعا فجأة في السماء ثم حول رأسه ونظر الى الملكة ثم مال نحو آبي وأخذ يتحدث معه . أخيراً قال آبي :

ـ ان « رع » (الشمس) قد غرب . تعالي نضع حداً لهذه الحماقة

فقالت الملكة بسكون :

ـ لم يغرب بعد . انتظر قليلا

ما كادت الملكة تفرغ من كلامها حتى شوهدت أشجار النخيل المزروعة بكثرة في الحدائق الغناء الواقعة على شاطئ النيل وقد انحنت نحو الشرق كأنها تحيي الملكة وهي جالسة على عرشها . انحنت تلك الاشجار ثلاثاً ثم عادت كما كانت مع أنه لم تكن

هناك ريح تحركها . بعد ذلك تجمعت السحب وصارت كرداء أسود كسا السماء . وكان قرص الشمس يرى ـ وقد احتجب نصفه ـ من خلال فتحة في هـذا الرداء وهو يتقد كعين ملتهبة مرونة ثم أخذ يتوارى تدريجياً الى أن بقى منه خط رفيع من النيران واذ ذاك أخذت الظلمة تخيم على القاعة . أما الملكة فكانت تسمع وهى تنادى اسم « آمون »

صاح أحدهم قائلا :

ـ مات «رع» . انتهى يا ابنة السماء . مات «رع»

فقالت الملكة وهى تصيح صيحة الظفر

ـ ولكن آمون حي . انظروا الى سيفه أيها الخونة !

ما كادت هـذه الكلمات تخرج من فم الملكة حتي انشقت السماء الى شطرين بلمعان البرق وشاهد الناس في وسطه أشجار النخيل وقد انحنت مرة أخرى وكادت أطرافها فى هـذه المرة تمس الارض . ثم هبت الرياح فجأة وأخذت الارض ترتفع تحت أرجلهم بلا انا وفى المرة الثالثـة تعالى صراخ مزعج تلاه صوت سقوط الاحجار وسط الظلام

بدت السماء اذ ذاك كأنها شعلة من نار وظهرت فى هذا الضوء كركب الصباح ابنة آمون وهى جالسة على عرشها تحمل صولجانها وتسير نحو السماء وتضحك ضحكة الفوز . ولا عجب فقد سقطت المسلتان اللتان بناها الرعاة خارج القاعة فوق البرج والابواب

فهدمتاها وعلى رؤوس الذين كانوا في الخارج فأماتت مئات منهم. وقد وجدت جثة مشوهة بين الذين ماتوا وهي جثة ذاك الضابط الذي سخر من الملكة وكاد يغمى عليه عند ما نظرت اليه

فرّ من بقي داخل القاعة واضطربت جموعهم ومسهم الخبل وأخذوا يناضلون بكل قواهم للفرار من انتقام آموز وابنته. وكان الكهنة في داخل القاعة قد خروا سجداً وأخذ كل منهم يدعو الهه ليرحمه. وخر آبي على ركبتيه أمام العرش وأمسك بقدمي الملكة وضرخ طالباً العفو والغفران في حين كانت « التي » جلست على العرش تضحك وهي تضيء كالنيران بين الخرائب والانقاض وأصوات الجلبة والصياح

لم تمض غير مدة وجيزة حتى فرّ الجميع عدا الكهنة الساجدين والموتى والذين يعالجون سكرات الموتى وآبي وضباطه وبعد هنيهة انقشعت السحب وأضاء القمر القاعة بلون فضي جميل

نظرت الملكة الى آبي المسكين وهو يمرغ حديه على قدميها وقالت :

ـ أخبرني الآن يا زوجي من هو اله المصريين ؟

فقال آبي وهو يلهث :

ـ هو آموز أبوك

ـ ومن فرعون مصر :

ـ أنت دون سواك أيتها الملكة

- آه . هذا هو الامر الذى قام بيننا عليه النزاع . أليس كذلك ؟ لقد ألجأني الى طلب مساعدة من ينصرني وقد زعمت أنّ لا ناصر لي ولا معين

ثم أشارت الى بقايا المستين العظيمتين وقالت :

- انظر . هنالك أثر قدمهم . انهم يديرون الهويسا . أليس كذلك يا عمته ؟

فنظر آبي خلفه الى نعته المهدمة والي الموتى والذين يدونون ثم كرر قوله وهو ينتفض :

- انت فرعون مصر دون سول . هي خادمك الخدة ودعيه ابايش في فلك ورع يدب

فقالت بدون تفهم :

- ليس في استطاعتي أن أمنت الامر الاول ولو أنه قد يرضى آمود أن يبق عليه، نابالا في هذا المكان حيث يجب أن تسوى حسابات بين آبي وحرون وبين رفقائه الذين ماتوا في سوارع مسست التي رحو ناك د لديك أعمال يجب تأديتها أما الامر الثاني — وهو أمر الكهنة والضباط و تطروا الى هذا الامر سيدكا وهو يؤدى و حب الشجاعة والاحترام لي ملكة مصر

فقدر وقد تمالى نفسه مصر رد يتفحصون حرفا وحرفا . ثم أشرت في نده، صوحه شيء آخر انما رجل حيد ها

ثم تبعه الآخرون من الكهنة والضباط والسقاة الى أن جاء دور كاكو في النهاية وهو ينتفض ولكنها أبت أن تمس هذا الشرير حذاءها فسحبت قدمها وقالت :

ـ أخبرني أيها الساحر يامن تعرف أسرار الامور كيف بقيت على قيد الحياة وقد قتل كثيرون ممن هم أقل منك جرماً : أخبرني يا من تلطخت يداك بدم فرعون

سمع الساحر الخبيث هـذه الكلمات فخرّ على وجهه ساجداً وأخذ ينكر جريمته الفظيعة وفي الوقت نفسه يطلب الصفح عما قال أنه لم يقترفه

صاحت الملكة قائلة :

ـ كفى . اعلم أن حياتك ستطول زمناً ما . نعم وكذا حياة مرتيرا وستبقى في منصبك وزيراً

فأخذ كاكو يسكب عليها آيات الحمد والثناء ولكنها أوقفته عن الكلام قائلة :

ـ لا تشكرني لانك لا تعرف نهاية هـذا الامر الذي أخفي عنك مخافة أن يعتريك الخبل أو يصيبك مس من الجنون أنت وزوجتك مرتيرا . انظر اليّ أيها الساحر وقل من أنا ؟

ثم مالت فوقه فنظر اليها وتلاقت أعينهما فلم يستطع أن يحول عنها نظره

عادت الملكة الى الكلام فقالت :

ـ نعل . اعلم أنني أعلم شيئاً من الاسرار الدفينة.فقد رأيت الارض وهي تعلو وتنخفض تحت أقدامكم كأمواج البحار والمسلتين وقد تهدمتا أمامكم بأمري . يجب أن لا تكون هناك أسرار بين رجال حرفة واحدة . وعليه سأقص عليك أمراً ربما عرفت منه شيئاً . ولما كنت واثقة من أنك ستلقيه على مسامع سيدك أو على مسامع مرتيرا فاعلم ان اللحظة التي تذكر فيها هذا الامر هي التي يقضى فيها عليك وهي بداية العذاب، الذي أمسكته عنك . الآن اصغ الي بحق « آكل الارواح » ياصانع التماثيل المصنوعة من الشمع

ثم مالت فوقه وأخذت تهمس في أذنه . ولم تمض لحظة حتى شوهد الساحر وقد امتقع وجهه وهو يترنح الى الوراء كالسكران وفي الواقع لو لم يمسكه آبي لسقط من فوق المنصة

وكانت الملكة تنظر الى الناحية الاخرى وقد نسبت ما أصابه على ما يظهر فأسر آبي في أذن الساحر قائلا :

ـ ماذا قالت لك الملكة ؟

على ان كاكو لم ينطق بكلمة ونزع نفسه من الامير وفر هارباً من المكان

الفصل الثالث عشر

آبي يعرف حقيقة الملكة

انتهى شهر قري على حفلة الزواج . وفي اليوم الاول من الشهر الجديد جلس كاكو في قاعة كبار الضباط في مجلس يراجع حسابات المدينة العمومية . ولم يكن عمله هذا سهلا لان الملكة ـ أو فرعون كما دعت نفسها ـ أبانت له كثيراً من الاغلاط ووردت اليه البيانات فاستدعى كاكو رؤساء جباة الاموال وأمرهم بدفع العجز الذي سرق هو معظمه وهددهم بالجلد ان لم يفعلوا

ذهب كاكو بعد أن هدأ روعه الى مكتبه الخاص فوجد نفسه مع آبي وجهاً لوجه . وكان الامير قد تغير شكله فأصيب جسمه الضخم بالهزال وبدت عليه علامات الشيخوخة والبؤس بحيث لم يتمكن كاكو من معرفته وهو جالس في زاوية مظلمة في الغرفة وظنه أحد الخدم فأخذ يسبه وأمر بطرده

فثار غضب آبي اذ ذاك وهجم على كاكو وأمسكه من لحيته ولطمه على وجهه وقال :

(٥ — نى)

ـ أيها الكاذب . أهكذا تخاطب ملكك ؟ سأنتقم لنفسي منك على الاقل

فقال كا كو :

ـ العفو يا صاحب الجلالة لانني لم أعرفك في هـذه الظلمة . لقد تغير شكلك كثيراً أيها الملك

فتركه آبي وقال :

ـ تغـير شكلي : نعم كيف لا يتغـير شكلي وقد عانيت ما عانيت من الآلام المبرحة منـذ أصغيت الى نصيحتك وسعيت للجلوس على عرش فرعون ؟ لقـد كنت قبـل ذلك سعيداً ناعم البال متمتعاً بأولادي وزوجاتي ودخـلي وجيوشي أما الآن فقد فقدت كل شيء . فأولادي ماتوا وزوجاتي طردن وأموالي أخذت مني وجيوشي التحقت بخدمة غيري

فقال كا كو :

ـ انك على الاقل فرعون مصر وزوج أجمل امرأة في العالم وأعظمهن حكمة

فتأوه آبي وقال :

ـ فرعون . ان أوضع رجـل في المدينـة أعظم مني سلطة وجاهاً . أما باقي . . .

ثم سكت وتأوه ثانية

فقال كا كو :

ـ ماذا أصابك أيها الملك ؟

ـ انني سقطت تحت ساطلة كوكب نحس

ـ هل تعنى كوكب آمون ؟

ـ نعم كوكب آمون المزعج الجميل التي تسميها أنت زوجتي انها لا تعاملني معاملة الازواج . أصغ الي . ذهبت الى غرفتها الخاصة فوجدتها جالسة أمام مرآتها تغني لا ترتدي غير ثوب أبيض رقيق وشعرها الاسود يكاد يمس الارض فتبسمت وخاطبتني بألفاظ عذبة رقيقة وجذبتني نحوها بقوة عينيها الساحرتين . . . نعم وقد دعتني زوجها ثم تنهدت وخاضت في حديث الحب والغرام الى أن دنوت منها أخيراً وطوقتها بذراعي

ـ وبعد ذلك . . .

ـ وبعد ذلك ذهبت ياكاكو فرأيت بدل وجهها رأس فرعون الميت بوجهه الشاحب المخيف وهو ينظر الي شذراً فرجعت الى الوراء خطوة ونظرت فوجدتها جالسة في مكانها ثانية تضحك وتدون سعرها بالعيب وتسألني عما يؤلمني وعن سبب اصفرار وجهي قائلة هل هذه معاملة الازواج . لقد كان ذلك منذ شهر ولكنه استمر حالة على ذلك الى الآن فكلما أعود الى زوجتي وأقترب منها أجد رأس فرعون ووجهه الشاحب المخيف بدل وجهها الجميل وهي تهزأ بي وتسخر مني . ولم أستطع الاقتراب الى زوجاتي الاخريات لانهن أبعدتهن عني حتى اللاتي

فقال كاكو :

- وبعد ذلك ؟

- وبعد ذلك تعود جلالتها بعد انهزام قبائل الخيتا وخضوعها لمصر الى مدينة طيبة رسميا « لتتولى تهيئة قبري » قائلة ان هذه مسألة لا تقبل التأخير. وفي الواقع رسمت شكل القبر رسما مزعجا مروعا وقدمته الى لأراه . وقد رسمت أيها الصديق بجانب قبري قبرا آخر صغيرا لك وأرسلت صباح اليوم جماعة الى محاجر [illegible] ليأتوا بثلاثة أحجار كبيرة لصنع توابيت [illegible] لي والثاني لك والثالث لزوجتك مرتير! قائلة انها تريد تكريمكما بهذه الهدايا على حسب العادة القديمة

لم يستطع كاكو عند سماع هذه الكلمات أن يتمالك نفسه فأخذ يمشي ذهابا وايابا في أرض [illegible] وهو [illegible] ويلتف [illegible].

أخيرا قال :

- كيف تستطيع أن [illegible] وأنت لسيدك العظيم أن تصير رقيقا [illegible] وتوضع تحت قدميها كالاقذار . وترى بعينيك [illegible] وتلقي آلام العذاب [illegible] الناس [illegible] . كيف [illegible] كل ذلك . لماذا لم تقتلها [illegible]

فقال آبي :

ـ لانى لا أجرأ . اعلم ياكاكو انه لو خطر على فكرى مثل هذا الرأي عرفت أفكارى وقتلتنى . ألا تتذكر أيها الاحمق سقوط المسلتين فوق فوادي وما أصاب الضابط الذي سخر منها ودعاها بابنة السفاح ؟ كلا . كلا . انني لا أجرأ على رفع أصبع واحد فى وجهها

ـ اذن أيها الامير يجب أن تحمل نيرك الى أن يعد لك القبر

فقال آبى وهو ينتفض :

ـ كلا ياكاكو . ان لدى خطة أخرى جئت لاتحدث معك بشأنها . اقتلها أيها الصديق كاكو . أصغ الى . انك متضلع فى فى فنون السحر فالعمل الذي أودى بحياة الاب يودي بحياة الابنة . اصنع تمثالا من الشمع وبث فيه من قوتك يتم كل شيء . وبعد ذلك . . . فكر فى مكافأتك

فقال الساحر باستهزاء :

ـ انني فى الواقع أفكر فى الجزاء أيها الامير النبيل . أندري ماهو ؟ القتل بالعذاب المتقطع . وفوق ذلك اذا علمت الحقيقة قلت أنه يستحيل قتلها

فقال آبى بغضب :

ـ ماذا تعني أيها الاحمق ؟ ان اللحم والدم لابد أن يذعنا للموت

فارتسمت ابتسامة ميتة على وجه كاكو النحيف وقال :

ـ ان هذا مثل يليق بحكمتك أيها الامير . نعم ن اللحم والدم يذعنان للموت . . . نعم نعم اللحم والدم !

فثار غضب الامير وقال .

ـ لاتقطب وجهك هذا الذميم والا قطعت عنقك بحسامي

ثم سل سيفه وتهدده قائلا :

ـ قل ماذا تعني أو . . .

فخر الساحر على ركبتيه وصاح قائلا :

ـ سيدى . لا أستطيع . كلا . لا أقدر. أعف عنى . انه سر من أسرار الآلهة

فرفع آبى سيفه وقال :

ـ اذن . اذهب الى الآلهة أيها الجبان الكذوب وتكلم معها . ان الملكة لا تلومني اذا أرسلتك الى هناك

فجثا كاكو على ركبتيه وقال وهو يلهث :

ـ العفو . العفو !

فى تلك اللحظة التى كادت تذهب فيها حياة الساحر سمع الاثنان ضحكة عذبة رقيقة لم تخف عليهما فنسى آبى غضبه وذهب الى النافذة وأطل منها ثم لم يلبث أن أشار الى كاكو وهمس فى أذنه قائلا :

ـ تعال وانظر . ان أجلك لم ينته بعد

فحبا كاكو الى النافذة ثم قام وأطل منها فرأى الملكة واقفة

فى حديقة القصر السرية ذات الاسوار وأشعة الشمس تنير وجهها الفنان من خلال أغصان شجرة زاهرة . ولم تكن الملكة وحدها اذ كان أمامها رجل بلباس الاشراف قد جثا على ركبتيه . وكان هذا الرجل قائدا فى جيش آنى وكان الامير يحبه لبسالته واقدامه فزوجه باحدى بناته . وقد لعب هذا القائد دوراً كبيراً فى المؤامرة العظيمة التى دبرت لاغتيال حياة فرعون وهو الذي قتل مرمس زوج آستى

جاء هذا القائد يلعب دوراً جديداً هو اظهار الحب للملكة فقد رآه آنى وكاكو وهو يقبل أطراف ثوبها ويتوسل اليها ويتضرع وسمعا طرفاً من حديثه معها اذ كان يقول :

ـ لقد عرضت حياتى للاخطار وتسلقت الاسوار . انى أعبدك . انى لا أستطيع الحياة بدونك . انى رهن اشارتك فمرى بما تشائين . انى أستطيع أن أغتال حياة آنى الذى لا يليق بأن يرتبط سبور نمالك . امنحيني شرف حبك أجعلك مالكة مصر الوحيدة وأقنع بخدمتك كعبد رقيق . قولى كلمة عطف واحدة

كان القائد يتوسل ويتودد كرجل مسه الخبل لا يدرى ماذا يقول أو ماذا يفعل بينما كانت الملكة تصغى اليه بسكينة وتضحك من وقت الى آخر تلك الضحكة الرقيقة الساحرة

وفى النهاية تام وحاول أن يتناول يدها فأبعدته وهي لا تزال تضحك ثم قالت بهدوء :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كانت عشرة من الفراعنة قائلا ان هذا حقه . ثم هم بمغادرة الغرفة وسيفه مشهور فى يده

قال كاكو بصوت مبحوح :

ـ اذا كانت هذه ارادتك يا سيدي فابق فى مكانك

ـ لماذا أيها الرجل ؟

ـ لان جلالتها قادمة . وهـذه الغرفة ساكنة هادئة تليق بعملك هذا اذ لا يدخلها أحد غيرى

ما كاد كاكو ينتهي من كلماته هذه حتى فتح الباب ثم أعاق وظهرت أمامهما الملكة

دخلت الملكة فوقع نظرها أولا على حسام آبى وهو بيده فى يده وسط الغرفة المظلمة فأخذت تنظر اليه تارة والى سيفه تارة أخرى والى كاكو وهو رابض فى زاوية الغـرفة ثم قالت بصوتها العذب الرقيق

ـ لماذا جردت حسامك يا زوجى ؟

فأجابها وقد تغلب عليه غضبه قائلا :

ـ لأقتلك أيتها الزوجة

فأخذت تنظر اليه لحظة أخرى ثم ابتسمت بجمالها الغريبـة وقالت :

ـ هل حقاً ما تقول ؟ ولكن لماذا أردت قتلى الآن ولم تردە من قبل ؟ هل وجدت فى مشورة كاكو قوة ومسجعة ؟

[illegible]

الملعون الذي دفعك آمون الى يدي لأعاقبك هنا على الارض الى أن تذهب اليه في العالم السفلي

نظر اليها آبي ونظر كاكو كذلك لانه لم يستطع أن يمالك نفسه . على أن ما رأياه لم يخبر به أحد نقط خرا على وجهيهما وتأوها .

أخيراً ذهب الخوف عن قلبيهما فاستطاعا أن ينظرا اليها ثانية فوجداها كما كانت — فتاة فاتنة ذات جمال رائع

قال آبي وهو يلهث .

— من أنت . المعبودة « سخت » مجسمة ؟ أو ازيس الهة الموت ؟ أو شبح كوكب الميتة أرسل الى هنا للانتقام . ؟

— كلها . أو لست واحدة منها كما تشاء أيها الرجل ولكنني في الحقيقة أرسلت الى هنا للانتقام . سل هذا الساحر فانه يعرف من أنا وقد أمرت له أن يخبرك

فقال كاكو متأوهاً :

— انها روح ابنة آمون . انها كل كوكب وقد أطلق سراحها انتقاماً من أولئك الذين ساءوا اليها . انها شبح ... الحقيقة الآلهة وقد وقعنا نحن الاثنين أخطأنا في حق فرعون وحقه وحق ... آمون في يديها

فدار آبي الى اعيبه الكبيرتين تجاه الفتاة وقال ... :

ـ أين اذن كوكب الصباح التى كانت ملكة مصر ؟ هل ذهبت الى أوزيريس ؟

فقال الشبح الملوكى

ـ كلا انها لم تمت أيها الرجل . انها لا تزال على قيد الحياة وهي الآن فى طريقها الى حبيبها فاذا ما عادت معه ومع شحاد معين ذهبت أنا. وستموتان أنتما لأن هذه ارادة الآلهة .أما الآن فقوما واصدعا لأمرى الى أن تحون الساعة المعينة

الفصل الرابع عشر

سفينة « رع »

فتحت كوك الصباح عينيها وكان قد مضى عليها بعض الوقت وهي راقدة بين اليقظة والنوم . وقد خيل اليها أنها تسمع صوت انغماس المجاديف في الماء وصوت المياه وهي تلعب بجوانب سفينة فزعمت أنها في حلم وقالت انها بلا ريب في قصرها في مدينة طيبة وان وصيفاتها سيأتين اليها اذا ما طلع النهار

في قصرها في مدينة طيبة ! . . . تذكرت الآن انه مضى عدة شهور منذ رأت تلك المدينة . وانها سارت الى جهات بعيدة ووصلت أخيرا الى مدينة تدمر ذات الأسوار البيضاء حيث لقيت شيئا كبيراً من الحوادث المزعجة

أخذت كوك تتذكر هذه الحوادث واحدة واحدة فتذكرت المكيدة . . . [illegible] باسحر [illegible]
[illegible] ثم الخروج في [illegible]
في [illegible]
[illegible]

[illegible]

ـ نعم ياسيدي . بي أسمع وأري . [illegible] أين نحن الآن ؟

ـ اننا في العالم الذي على ما أدان يا آسي [illegible] لقد كانت تلك الدار هي المرت [illegible] الآن [illegible] لي مكان الاروح

ـ أذا كان الامر كذلك [illegible] أيها [illegible] أن نكون ما أعلى [illegible] ولحم [illegible] هذا [illegible] أرى

[illegible]

والارواح

[illegible]

[illegible]

ستيقظت كوكب الصباح مرة أخرى فماذا رأت؟ رأت
شمس تضيء سورها الشامخ وتلمع بها آسنة تراقبها. ورأت
أمها منصتة عند [illegible] من [illegible] مالك وطاب
دارت كوكب بعينيها من حولها وقالت.

– أخبريني ماذا جرى يا أماه. بي حاجة لا أدري في أي
حلم نحن

قالت شتى:

– أنت ساق هلاك دنيا أبيها لمملكته ولكننا في حماية أولئك
الذين نسير معهم. ولا ريب في أن هذه السفينة ليست من
صنع بشر ولا يوجد لها مثيل [illegible] تعالى أنه في
حدقة [illegible]

[illegible] وسرت [illegible] وحدها من نفسها قوة
على خروج [illegible] فخرجت [illegible] حولها فرأتا [illegible]
[illegible] كبيرة وقد اشرحول هذه المنصة [illegible]
[illegible] من [illegible] سعدة [illegible] من حيوطها [illegible]
[illegible] الحراس [illegible] وأن [illegible]
[illegible] أما السلطان
[illegible] سفينة [illegible] أمس ولم
[illegible] لم تستطع كوكب
[illegible] السفينة [illegible]

في ترعة تكتنفها رمال من الجانبين تلي هذه الرمال صحاري لا يصل المعين في نهايتها

دهشت "ستي" الصحراء ثم تحولت نحو "كوك" وقالت

– هل تعرف هذه الترعة ياسيدي لأني أبحرت فيها مرة وأنا طفلة صغيرة وهي على ما أعتقد الترعة التي حفرها الفراعنة القدماء ثم أصلحت بعد سقوط ملوك الرعاة (الهكسوس) وانها تمتد من «تل سطه» الى ذلك البحر الذي يبحر فيه المتحولون نحو الشمس المشرقة (البحر الاحمر)

فقال كوك

– ربما كان ذلك يا أماه وعلى كل حال فان هذه هي الدنيا التي نعيش فيها ولسنا في عالم آخر . وقد شعرت بارادة آمون أبي أن … الآن … الحية … الآن … الى أن … سفينته سحرية

… ستي … ولكنهما لم … كانا …

ولا يراها . فعادت … كان … نحوهما …

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كانا أصمين وأبكمين مثل القائد ومدير الدفة فلم ينطقا بكلمة ولكنهما قدما فروض التحية بتواضع وأشارا الى الشاطيء حيث رأت كوكب اذ ذاك ناراً تتقد فوق صخرة لم نعرف من أوقدها

قالت آستى

ـ انهما يريدان أن نغادر السفينة . تعالى ايتها الملكة نقتفي أثر ماخبأه لنا القدر وهو شيء عظيم

فقالت كوكب

ـ كما تريدين يا أماه . اذا لاريب في أننا لم نأت الى هنا لغير غاية

تراءت الرجلين الى جانب السفينة وقد زالت الشبكة التي كانت تقيهما فوجدتا سلما من ظهر السفينة الى البر ولما همتا بالنزول أعطى الرجلان لكل منهما سلة ثم حنيا رأسيهما لهما اكراما واجلالا ثم ذهبا . وما كادت آستى وكوكب تضعا أقدامهما على الشاطيء حتى سحب السلم وأخذت المجاذيف تضرب المياه

دارت السفينة ولم تمض لحظة حتى صارت في وسط النهر وقد وقف الربان عند مقدمها ومدير الدفة في المكان الخاص به وكانت شدة الشمس وهي تكاد تختفي وراء الافق تنير السفينة ومن عليها

نزع الرجلان من وجهيهما القناع في وقت واحد وكانت آستى وكوكب تريانهم فرأتا وجهيهما فاذا هما فرعون والد كوكب ومرمس زوج آستى . على انه لم تلبث أن جاءت سحابة حجبت

[illegible]

فأكلتا ولما لم تجدا عملاً رقدتا لتناما . بيد أنهما ما كادتا تغمضان أعينهما حتى سمعتا زئيراً مزعجاً من ناحية النهر فعلمتا أنه زئير الاسود اذ سمعتا زئيرها من قبل في حدائق طيبة و بعد ذلك سمعتا عواء الذئاب وأصواتاً أخرى يخالطها شخير الخرتيت وفرس البحر

أخذت هذه الاصوات المخيفة تقترب منهما شيئاً فشيئاً الى أن رأت كوكب وآستي عيوناً صفراء تتحرك في ظلمة الغابة كالنجوم في الظلام في حين كانت تجري أشباح ضخمة في الناحية الرملية الواقعة وراء الصخرة وظهرت الى جانب النهر المجاور لها وحوش كبيرة ذات أنياب لامعة وأفواه واسعة حمراء

قالت كوكب بصوت خافت

ـ لقد حانت منيتنا يا أماه اذ لابد أن تلتهمنا هذه الوحوش الكاسرة

القت آستي وقوداً أخرى في النيران وانتظرت راجية أن النيران ستخيف هذه الوحوش وتطردها بعيداً . ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك لأن الخوف كان قد أخذ من الوحوش مأخذاً عظيماً على ما يظهر . فأخذت تقترب منهما شيئاً فشيئاً الى أن صارت الاسود على مسافة قصيرة من الصخرة في حين احتشدت الوحوش الاخرى من ضبع وذئاب وراء الاسد كأنها ماشية في خدمة ملك

همست كوكب قائلة :

ـ ستقفز علينا في الحال

فقالت آستي :

ـ هل جاءت بنا أرواح فرعون المقدس أبيك ومرمس زوجى ومن معها الى هنا فى سفينة « رع » لتلتهمنا الوحوش كخراف ضالة فى وسط الصحراء ؟ خذي العود أيتها السيدة واضربى على أوتاره وأسمعينى صوتك الشجي

فتناولت كوكب العود وأخذت تلعب بأناملها على أوتاره الذهبية ثم أخذت تغني . وكانت نبرات صوتها مضطربة فى البداية الا أنها أخذت تشتد عند ما نسيت كوكب مخاوفها واضطرابها ولم تفكر بشيء غير الغناء . وهكذا لم تلبث أن رن صوتها الرخيم وسط هذا السكون المخيم فى الغابة الموحشة والنهر الهادىء . ولما ارتفع صوتها العذب ربضت هذه الوحوش الكاسرة ولم تتحرك من مكانها وأخذت تصغى على ما يظهر الى هذا الصوت الجميل كما لو كانت مسحورة . نعم تأثرت الوحوش الكاسرة بغناء كوكب العذب فقد ظهر ثعبان من بين الصخور وأخذ يصغى الى صوتها وهو يحرك رأسه الى اليمين والى اليسار

أمسكت كوكب عن الغناء فى النهاية . ولما تلاشى صدى صوتها تحول كل وحش من هذه الوحوش واختفى فى الغابة أو فى النهر ولم يبق منها أحد عدا الثعبان فانه التف حول نفسه ونام

حيث كان . وهكذا سادت السكينة مرة أخري فنامت كوكب وآستى آمنتين ولم تستيقظا حتى أشرقت الشمس وأضاءت الارض بنورها الساطع

قامت كوكب وآستى وسارتا على الارض الرملية — وكانت لاتزال آثار الوحوش عليها — الي شاطيء النهر فشربتا واغتسلتا. وأخذتا تنظران من خلال الضباب المخيم على النهر لعلهما تجدان السفينة الذهبية التي حملتهما من ممفيس قدعادت و أخذت تنتظرهما في وسط النهر

بيد أنهما لم تريا شيئاً غير أفراس البحر وهى تظهر وتختفي والتماسيح وهى تزحف على بطونها على الشاطيء فعادتا الى الصخرة التى كانتا تصطليان عليها وأكلتا من الطعام الذى كان في سلة آستى ولما فرغتا نظرت كل منهما الى الاخرى وهي لا تدرى ماذا تفعل

قالت كوكب .

ـ تعالي يا أماه نسر في طريقنا . إننا لا نستطيع أن نسير بجانب النهر حيث لا يوجد غير الأحراج والطين فهيا نخترق الغابة الى حيث تقودنا الآلهة

فأطرقت آستى ثم وضعت كل منهما سلة على رأسها كعادة فلاحات مصر وسارتا في طريقهما وقد تدلى العود المصنوع من العاج على ظهر كوكب الصاح

سارت كوكب ومربيتها ساعة بعد أخرى في الغابة بين الاشجار

متجهتين دائماً نحو الجنوب . وكانت القردة ترى وهي جالسة فوق أطراف الاشجار والطيور الجارحة وهي تحلق فوقهما من وقت الى آخر ثم تختفي بين الاشجار العالية ولم تريا غير ذلك . وأخيراً أخذت الارض بعد منتصف النهار ترتفع والاشجار تصغر وتبتعد عن بعضها الى أن وصلتا في النهاية الى طرف صحراء رملية فسارتا الى واحة صغيرة حيث علمتا من الحشائش الخضراء انهما ستجدان ماء. وفي الواقع وجدتا غديراً فجلستا عند شاطئه ثم أكلتا مما كان معهما من الطعام وشربتا ولما فرغتا نامتا قليلاً

سمعت كركب خلال أثناء نومها صوتاً فاستيقظت وهي تنتفض ورأت رجلاً بجانبها يتكئ على عكاز ويتفرس في وجهيهما . وكان رجلاً غريب المنظر طاعناً في السن على ما يظهر لان شعره الابيض الطويل كان يتدلى على كتفيه ولحيته البيضاء قد وصلت الى صدره . وكان طويل القامة الا أن الشيخوخة قوست ظهره وكانت عظام جسمه الهزيل ترى وهي بارزة من خلال ثيابه الرثة وكانت عيناه صغيرتين . فقد انحنى الى الامام وهو ينظر في وجهيهما وهما راقدتان. وكان وجهه كثير التجعد وقد لفحته الشمس والرياح حتى أنه كانت تبدو عليه سيماء الرقة والدعة . وفي الواقع لولا شيخوخة الرجل الظاهرة وتقاطيع وجهه الكبيرة لظهر كأنه يعود طفلاً مرة

جلست كوكب ونظرت الى الرجل ثم قالت :

ـ أخبرني يا أبتي من أين أتيت وماذا تريد من خادمتك ؟

فقال الشيخ بصوت عذب :

ـ أتيت يا ابنتي من البرية التي هي موطني . لقد عرفت كثيراً من أبناء جيلي . نعم وكثيراً من أبنائهم كذلك فليس في أصدقائي غير البرية والغابة لأنهما تعرفاني دون غيرهما منذ صباي [illegible] بحالي لأني [illegible] فقير [illegible] الا [illegible] أيام كاملة . [illegible] أنه [illegible] هذا [illegible] يا ابنتي لأني أشرفت على الموت جوعاً

فقالت كوكب :

ـ إنه لك يا . . .

ثم سكتت

وقال الشيخ :

ـ [illegible]

فدهشت [illegible]

[illegible]

ـ [illegible]

[illegible]

[illegible]

على [illegible] وأخذ [illegible]

قالت آستي :

ـ سيأكله كله ياسيدتي ولايبقى لنا شيئاً . وعليه لابد أن نموت جوعاً في وسط هذه الصحراء

فقالت كوكب :

ـ انه ضيفنا . دعيه يأكل حتى يشبع

فسكتت آستي هنيهة ثم صاحت صيحة العجب فقالت كوكب :

ـ هدئي روعك يا أماه . لقد قلت انه ضيفنا فيجب أن نراعي آداب الضيافة

فدمدمت آستي قائلة

ـ اذن ستقضي علينا آداب الضيافة وتوردنا كاس الهلاك

ـ فليكن ذلك يا أماه . اننا سننقذ روحا من الموت على الاقل . ضعي ثقتك في آموز ولا تخشي شرا

فاهت كوكب بهذه الكلمات ثم اغرورقت عيناها بالدموع ذلك أن آستي لها الحق فيما قالت فقد ذهب الآن الطعام الباقي لديهم وكان يكفيهم مدة يومين بكل تقتير فلا مندوحة اذن من الموت جوعا ان لم تأتهما يد المساعدة وهو أمر بعيد الوقوع في مكان مرحش كهذا . وقد ذاقت كوكب وآستي منذ مدة ليست بعيدة آلام الجوع في لرج فكانت هذه الفكرة بفكرة تجدد ذلك الالم المطلوع هي السبب في تأثر كوكب حتى اغرورقت عيناها بالدموع

وبينا كانت كوكب وآستي تفكران بما عسى أن يصيبهما كان كيفر قد فرغ من التهام الطعام بشهية حادة غريبة فلم يبق على شيء مما كان في السلة. ولما أكل آخر تمرة ناول السلة الى كوكب وحنى رأسه [illegible] ثم قال وهو ينظر اليها بعينيه الجامدتين

ـ اشكرك يا ابنتي . لم تكن ملكة مصر لتكرمني أكثر مما أكرمتني . لقد عانيت ألم الجوع مدة طويلة فامتلأت معدتي بعد أن كانت خاوية . ولما كنت عاجزا عن مكافأتك فانني أدعو الآلهة أن تحرسك من [illegible] وأن لا تجعلك تعانين ألم الجوع

لم تتمالك كوكب نفسها عند هذه الكلمات فسقطت دمعة من عينيها على يد كيفر الخشنة وقالت وهي تتنهد

ـ انني مسرورة اذ استطعت ان أرد عنك غائلة الجوع ولكن أرجو أن لا تهزأ بنا أيها الصديق [illegible] أن [illegible] اذ فرغ [illegible]

[illegible]

ـ ماذا تقولان [illegible] ماذا تقولان ؟ كيف [illegible] أعطيتما كل ما لديكما من الطعام [illegible] والتمر وتجلسان [illegible] ألا [illegible] هذا [illegible] مسكين !

فقالت كوكب

[illegible] يا أبتاه [illegible]

عظيم لهذا الضعف ولكن قد قاسيت أنا وصديقي هذه آلام الجوع في المدة الاخيرة لذا أثرت ذكراه المؤلمة في نفسي . تعالى يا آستي نسر في طريقنا قبل أن نعجز عن المشي

ورفع كيفر حاجبه عند ذكر اسم آستي ثم نظر الى كوك وقال

ـ انك جميلة يا ابنتي وقلبك طاهر نقي ولولا ذلك لما عاملتني هذه المعاملة . بيد انه يخيل الي انك في حاجة الى شيء واحد وهو الثقة العمياء برحمة الالهة ولو أزال الآن حزن الغابات الوعرة التي تسكنها الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة دون أن يمسهن أذى لا يختفين لي ابتاه . اخبرني الان كيف جئتما الى هذا المكان ؟

فاسرعت آستي في الجواب قائلة

ـ أننا من سيدات مصر أو على الاقل خدم السيدة . نحن لا نبي مرتبها . وقد سبانا جمعة من الفرسان من أهل فنيقيا من تجار الرقيق الابيض أثناء تجولنا على شاطيء النيل وجاؤا بنا الى هنا في سفينتهم ولا ندري بأي طريق وأخيرا ساروا في ذلك النهر القريب فهربنا منهم أثناء الليل . [illegible] من الرقيقات الجاريات

فقال كيفر :

ـ [illegible] لا بد أن يكون أولئك الفرسان قد حزنوا على خسارتهم واني لا اعجب كيف لم يقتفوا أثركما . على انني أظن أن الامر غير ذلك لاني كنت [illegible] حول الرمال ليلة أمس [illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ـ كلا . ولكن اللآلىء تشترى أكثر مما تحتاجان اليه من الطعام

فقالت آستى :

ـ ولكن ليس ذلك فى صحراء قاحلة

ـ نعم ولكن توجد فى هذه الصحراء مدينة ليست بعيدة

فقالت كوكب بلهفة شديدة :

ـ هل تسمى هذه المدينة ناباتا

ـ ناباتا ؟ كلا . ومع ذلك قد سمعت بهذه المدينة التى تسمي مدينة الذهب وقد زرتها مرة وأنا شاب وذلك منذ مائة سنة ونيف

ـ منذ مائة سنة ! هل تتذكر الطريق الموصل اليها ؟

ـ نعم . أكاد أعرفه ولكن يستغرق الانسان عاماً كاملا فى الوصول اليها سيراً على الأقدام . والطريق اليها يخترق صحارى عظيمة وفيافى وعرة تقطنها قبائل متوحشة نقايلون يصلون اليها أحياء

فقالت كوكب :

ـ ومع ذلك لابد لى أن أصل اليها ياأبتى أو أموت

ـ ربما تصلين اليها ياابنتي نيفرت ولكن أظن ان ذلك لايكون في هذا الوقت . والآن لديك عود وأظن انك تعرفين العزف والغناء ثم لديكما لآلىء ثمينة . اعلما ان سكان هذه المدينة

التي أخبرتكما بها الآن مغرمون بالغناء والموسيقى وكذا يحبون اللآلىء الثمينة ويقدّرونها . ولما كنتما لاتستطيعان السفر الى مدينة ناپاتا الا بعد ثلاثة أشهر أي بعد ماتملأ الأمطار التى تتساقط فوق الجبال ـ الآبار فانى أرى من اصالة الرأي أن تمكثا في هذه المدينة مدة تحترف آستى فى خلالها حرفة الاتجار باللآلىء وأنت ابنتها حرفة الغناء والموسيقى . . . فما قولكما ؟

فقالت كوكب بملل :

ـ أقول انه يسرنى الخروج من هذه الصحراء . هيا بنا الى المدينة ياأبى كيفر اذا كنت تعرف الطريق

ـ انني أعرف الطريق وسأرافقكما الى هناك جزاء الأكلة اللذيذة التى قدمتماها الىّ

ثم تناول عكازه الطويل وسار أمامهما

قالت كوكب بعد هنيهة :

ـ ان كيفر هذا يسير بخطوات غريبة لايستطيع أن يخطوها رجل طاعن فى السن مثله . لقد كاد يكون عاجزاً عن المشى عند مارأيناه أولا

فقالت آستى :

ـ تقولين رجل ؟ انه ليس برجل بل روح ـ ولا أدرى ان كانت طيبة أو شريرة ـ ظهرت في شكل شحاذ . هل يستطيع رجل أن يأكل مثله كل ما كان فى السلسلة من الطعام ؟ وهل

يتكلم أى رجل عن مدن زارها وهو فى صباه منذ مئة سنة ؟ أو يقول ان زوجي الميت تكلم معه أثناء نومه ؟ كلا . كلا . انه شبح كتلك الاشباح التى كانت فى السفينة

فقالت كوكب بابتهاج :

ـ ان هذا يسرنا لان الارواح أظهرت لنا صداقة عظيمة ولولاها لكنت الآن في عداد الأموات أو أعانى آلام الذل والعار

فقالت آستي وقد أعياها التعب وحرارة الشمس

ـ سنقف على حقيقة أمره في النهاية . أما الآن فليس لدينا غير أن نجد السير وراءه

سارت كوكب وآستي خلف الشيخ المسن حتى أعياهما التعب على أنهما جدتا في المسير الى أن صعدتا قرب المساء فوق رابية صخرية شاهدتا من فوق قمتها مدينة كبيرة ذات أسوار واقعة في واد خصب ذي مراعى خضراء

سار كيفر أمامهما نحو هذه المدينة الى أن وصلوا الى مجموعة من الأشجار عند أطراف الارض المزروعة فوقف كيفر عندها وخاطبهما قائلا :

ـ الآن أسدلا قناعيكما وامكثا في هذا المكان واذا سألكما أحد فقولا انكما من النساء الفقيرات جلستما لتستريحا . واذا شئتما أعطياني لؤلؤة صغيرة من العقود لابيعها في هذه المدينة

واسمها « نات » وابتاع لكما طعاماً ومكاناً تقيمان فيه

فقالت كوكب بصوت خافت :

ـ خذ عقداً

ـ كلا . كلا يا ابنتي : لؤلؤة واحدة كافيـة لأن اللآلىء في هذه المدينة نادرة ولها قيمة عظيمة

قالت آستي :

ـ لا أدري اذا كان هذا الرجل أو الروح سيعود الينا ثانية

فلم تجبها كوكب . وكان التعب قد أعياها فاستندت الى جذع شجرة ونامت ولما استيقظت رأت ان الشمس قد غربت وأن كيفر استعاد واقفا أمامها ومعه عبدان يقود كل منهما بغلا مسرجا .

قال كيفر :

ـ اركبا أيتها الصديقتان فقد وجدت لكما مسكناً

فركبتا الى أبواب المدينة وقد فتحت بأمر كيفر ثم سارتا في شارع طويل الى منزل قائم وسط حديقة ذات أسوار فدخلتاه بعد أن عاد العبدان بدابتيهما فوجدنا المكان مفروشاً بأثاث جميل وشاهدتا في غرفة مجاورة منضدة عليها طعام كثير فأكل الثلاثة ولما فرغوا أمر كيفر امرأة كانت تتولى خدمتهم بأن تسير امامهما الى غرفتهما قائلا انه سينام في الحديقة

فذهبت كوكب ومربيتها الى هنالك دون أن تلقيا أسئلة أخرى وألقيتا بنفسيهما على الفراش الذي أعد لهما ونامتا نوماً عميقاً

الفصل الخامس عشر

كوكب وملاك « تات »

- - - - -

اشرقت شمس اليوم التالى فاستيقظت كوكب وآستى وبعد أن بدلتا ثيابهما واكلتا وجدنا فجأة ان كينر التحاذ معهما في الغرفة دون أن تسمعه احداهما أو تراه يدخل الغرفة

نظرت اليه كوكب بدهشة وقالت

ـ لقد جئت خلسة أيها الصديق . ان الاشباح لاتستطيع التحرك بمثل هذه الخفة . . .

ثم نظرت الي الشمس خارج الغرفة أولا ثم الى الارض التي وقف كينفر عليها وقالت

ـ أين خيالك ؟

فقال الشيخ بصوته الخشن

ـ لقد نسيته . ان رجلا فقيرا مثلى لايستطيع أن يحمل خياله دائما . ولكن انظرى . ها هو الان. اخبرينى ماذا تعرفين عن الاشباح التي لايعتقد بها غير العارفين بفنون السحر ؟ لقد سمعت عن سيدة فى مصر تسمي باسمك يا آستى لاتستطيع رؤية

الاشباح فقط بل تستطيع اخراجها من جسم الانسان وتعطيها جميع أشكال الحياة . وقد سمعت أيضا ان التي تحكم في مصر الآن لها شبح يستطيع أن يقوم مقامها ولا يستطيع أحد أن يميز بينهما وهذا الروح الذي وهبه آمون لها يوم ميلادها ينتقم بلا شفقة ولا رحمة . اخبريني ايتها الصديقة آستي هل سمعت عن مثل هذه الاشياء لما كنت في مصر ؟

ثم نظر اليها ونظرت اليه الى أن حرك يديه بطريقة مخصوصة فحنت آستي اذ ذاك رأسها ولزمت الصمت

على ان كوكب كانت قد اضطربت لهذا الحديث لانها لم تدر ماذا يصيبهما وعرف الناس حقيقتهما فخاضت معهما في الحديث فقالت

ـ مرحباً بك يا أبتي كيفما أردت أن تأتى سواء بخيال أو بدون خيال . لاريب في اننا لانستطيع أن نقدم اليك ما تستحق من آيات الحمد والشكر على خدماتك الجليلة ... هل لك في تناول شيء من الطعام ؟

فتبسم الشيخ وقال

ـ كلا . انني كما لاحظتما أمس لا أذوق طعم الاكل الا نادراً والعادة أن آكل كل ثلاثة أيام مرة . ان الحياة قصيرة بحيث لا استطيع أن أضيع وقتي في الاكل

فقالت كوكب

ـ اذا كنت تري ذلك وقد بدأت حياتك منذ مائة سنة

ونيف فكيف بنا نحن ؟ ولكن اخبرني يا أبتى ماذا تفعل فى هذه المدينة ؟

ـ لقد اخبرتك أيتها الانسة . ستتجر آستى باللآلىء والبضائع الاخري وانت تغنين . ولكن يجب أن يكون غناؤك دائما من وراء ستار او عليك أن لاتدعى رجلا من أهل هذه المدينة خصوصا حاكمها أن يرى جمالك . اعطنى لؤلؤتين آخرتين لاشترى لكما اشياء أخرى تحتاجان اليها . ومن المحتمل أن لاترياني بعد ذلك قبل انقضاء مدة طويلة . ولكن اذا مسكما ضر اذهبى يانيفرت الى النافذة فى أى مكان تكونين واضربى على أوتار عودك ونادى ثلاثا اسم كيفر . وسيسمع نداءك بلا ريب رجل ما فيحمل الىّ الخبر فى الصحراء حيث أعيش واذ ذاك آتى الى مساعدتكما

فقالت كوكب

ـ اشكرك يا أبتى سأتذكر . ولكن اسألك المعذرة اذا قلت لك كيف يستطيع رجل . . .

ثم سكتت

فقال كيفر

ـ كيف يستطيع رجل طاعن فى السن يرتدى خرقا بالية بائس مسكين أن يساعد رجلا أو امرأة . . . هل هذا ما كنت تريدين قوله يانيفرت ؟ حسن . لاتحكمي بالظواهر يا ابنتي . ان الخمر

الجيدة لاتوجد عادة الا في الاواني المصنوعة من الفخار؛ والنيران
المخبأة فى صوان الزناد تستطيع أن تدمر أعظم مدينة

فقالت كوكب

ـ اذن يستطيع متجول استطاع أن يطوى خياله أن يساعد
متحول آخر وقع فى شر . لقد فهمت يا ابتى وقد رأيت على
رغم حداثتي أموراً كثيرة وأخرجتنى قبل الآن أيادي غريبة
من مياه عميقة

فقال الشيخ

ـ كأيدي القرصان الفنيقيين . حسن . الى الملتقى . سأذهب
الآن لشراء ما تحدثنا بأن أبيع هاتين اللؤلؤتين ثم أذهب الى
الصحراء . تذكرا ما اخبرتكما به ولا تحاولا مغادرة هذه المدينة
حتي تتساقط الامطار على الجبال وتملأ الابار . الى الملتقي أيتها
الصديقة آستي . سأتكلم معك عن الارواح بعد عودتي . أما
الآن فاذن أدعكما فى حماية اله مصر العظيم آمون

ثم حول وجهه وذهب

قالت كوكب عندما سمعنا باب المنزل يقفل وراءه

ـ ماهذا الرجل ؟

فقالت آستي

ـ رجل ؟ لقد اخبرتك انه ليس برجل. هل يستطيع الرجال
أن يطووا حياتهم كما تطوى الثياب ؟ انه اله أو شبح فى ثياب شحاذ

- سواء كان رجلا أو شبحا فانى احبه يا أماه لانه أظهر لنا صداقة عظيمة وقت الحاجة

فقالت آستي

- سنعرف ذلك اذا مافرغ من مهمته معنا

أخذت كوكب وآستى تتحدثان عن كيفر وما صادفهما من الحوادث الغريبة ولم يكد ينقضي على بدء حديثهما ساعة حتي أخذ الحمالون يصلون الى المنزل وهم يحملون صفات وجدت عند فتحها أنها أقمشة حريرية مطرزة بالخيوط الذهبية والفضية وجواردا غالية كالتي يصنعها العرب وأواني من المرمر والنحاس وبضائع أخرى غالية كثيرة لا يقتنيها أكبر التجار

وضع الحمالون هذه البضائع على الحصر والرفوف في الغرفة الامامية من المنزل المطلة على الشارع وكانت كأنها بنيت خصيصاً لهذا الغرض ثم انصرفوا دون ان يطلبوا أجراً . وظهر بعدئذ رجل يمتطي صهوة جواد أبيض جميل فترجل ثم انحنى أمام لوحة مثقوبة من الخشب كانت آستى وكوكب مختبئتين وراءها ووضع كتاباً على منضدة صغيرة ثم سار في طريقه . ولما ذهب فتحت آستى باباً صغيراً في الحجاب الخشبي وأخذت الكتاب فوجدته باللغة المصرية

كان هذا الكتاب هو العقد الخاص ببيع المنزل والحديقة لكوكب وآستى معاً وكذا البضائع التى جاء بها الحمالون . . قد

ورد في ذيل هذا الكتاب مايلي :

« وصلني أنا كيفر المتجول ثلاث لآلىء وأكلة كاملة من اللحم والتمر ثمناً للمنزل والحديقة والبضائع المذكورة آنفاً »

ثم يلى ذلك ختم كيفر بالشمع وكان على شكل جعران بين رجليه الاماميتين رمز الشمس

نظرت كوكب الى الختم ثم قالت

ـ أنه ختم لا يحمله الا الامراء والملوك

على ان آستي لم تجبها على قولها هذا وقالت

ـ اذا كانت هذه قيمة اللآلىء الصغيرة فى هذه المدينة فكم تكون قيمة اللآلىء الكبيرة ؟ هيا نتولى أعمالنا فان أمامنا وقتاً طويلا ولا نستطيع أن نعيش على اللالىء والبضائع الغالية

وهكذا صارت كوكب الصباح ، ابنة آمون وملكة مصر وآستي مربيتها ، سيدة السحر — تاجرتين فى مدينة تات

نظمت كوكب وآستي أعمالهما كما يلى : تجلس آستى ساعة فى الصباح وساعة بعد الظهر وهى مقنعة مع احدى الخادمات لتتجر مع الرائحين والغادين فتبيع لمن يريدون الشراء وتأخذ الثمن تبراً وبضائع غالية وتشترى ممن يريدون البيع الى أن ينتهي الوقت المعين فتبدأ كوكب بالغناء على العود وهى وراء الستار واذ ذاك تقف حركة البيع والشراء ويأخذ الناس فى سماع صوتها الشجى وكان الشارع فيهذه الاوقات يزدحم بالناس على سعته. ولا عجب

فقد انتشر صيتها في جميع انحاء المدينة ووصل الى الجهات المجاورة واذا ما انتهت كوكب من الغناء تذهب مع آستى الى الغرف الداخلية من المنزل وتتركان البضائع في حراسة الخدم ثم تأكلان وبعد فراغهما من الطعام تخرجان الى الحديقة الواسعة ذات الاسوار الواقعة وراء المنزل للنزهة وترويح النفس

مرت الايام والاسابيع على هذه الحال ولم تمض مدة يسيرة حتى أصبحتا من أغنياء التجار مع انهما لم تبيعا غير عدد قليل مع اللآلىء الصغيرة . وقد تراكم لديها من التبر والسبائك الذهبية شيء كثير بحيث لم تعرفا ماذا تصنعان به . ولم يجرأ احد على أن يمسهما بأذي أو يحاول السطو عليهما . وقد يكون السبب في ذلك ما كان يدور على ألسنة أهل المدينة من أن هاتين الغريبتين اللتين جاءتا من مكان غير معروف هما تحت حماية أحد الالهة

لم تعرف اسباب هذه الاشاعه ولا كيف اذيعت فى المدينة على انها كانت سببا فى كف أذى السكاذ عنهما . وفوق ذلك كان الذين يعاملونهما يوفون ما عليهم من الدين ولا يجرأ أحد على اغتصاب شيء مهما قل من موالهما . وأظهر الخدم كذلك لهما ولاء واخلاصا عظيمين

وهكذا اتجرت كوكب وآستى وبقيتا حافظتين لاسرارهما منتظرتين الساعة المعينة لفرارهما ولكنهما لم تجرآ على الخروج عن أسوار منزلهما

اتفق عند وصول كوكب الصباح ومربيتها آستى الى مدينة تات ان ملكها كان فى حرب مع ملك آخر من ملوك البلدان الواقعة على الشاطىء . على انه بعد انقضاء بضعة أسابيع على نزولها فى المدينة عاد الملك وكان اسمه يانيس ظافراً فأخذ يتأهب للاحتفال بالنصر الذى ناله

وبينما كان الملك يتأهب الاحتفال بنصره أبلغه رجال حاشيته عن تاجرتى اللآلىء . واذ آنس من نفسه ميلا الى اقتناء بعض اللآلىء ليتحلى بها يوم حفلة النصر ذهب متنكراً الى منزل التاجرتين . واتفق انه وصل متأخراً فطلب رؤية اللآلىء . وكانت كوكب قد أخذت على حسب عادتها تضرب على عودها ، ثم بدأت تغنى فأخذ الملك – وكان دون الاربعين من عمره – يصغى باهتمام الى صوتها العذب ونسى كل ماجاء من أجله

انتهت كوكب من غنائها فقامت آستى وهي مقنعة وحيت الجماهير المحتشدة باحناء رأسها ثم أمرت خدمها بقفل الابواب ونقل البضائع

فقال يانيس :

– انى أريد شراء بعض لآلئك الغالية أيتها السيدة

فقالت آستى :

– عليك أن تمر بعد ظهر اليوم . واعلم انك لو كنت ملا تات نفسه لما بعت لك شيئاً من وقتى

فصاح يانيس غضباً قائلا :

ـ انك تتكلمين كلمات عالية أيتها المرأة

فقالت آستي :

ـ سواء كانت عالية أو واطئة فانني أعنى ما أقول أيها الرجل

ثم حولت وجهها عنه وذهبت

عاد الملك يانيس قبل الغروب وكانت رغبته فى سماع ذلك الصوت الرخيم أعظم منها في الشراء ومع ذلك طلب رؤية اللآلىء فقدمت اليه آستى بعضها فنبذها جانباً بحجة انها صغيرة الحجم فأرته أكبر منها فنبذها كذلك وهكذا الى أن أخرجت آستى من بين طيات ثيابها لؤلؤتين من أكبر اللآلىء التى كانت لديها . فلما وقع نظر يانيس عليهما أبرقت عيناه لانه لم ير مثلهما من قبل نسأل عن الثمن فقالت آستى بدون اكتراث ان ثمنهما يربو بلا مراء عما يستطيع دفعه اذ لا يوجد فى العالم مثلهما الا عدد قليل ثم ذكرت وزنة من الذهب. فاضطرب الملك عند سماعها وخطا خطوة الى الوراء اذ كان ماطلبته يعادل ربع الجزية التى أخذها من البلاد التى فتحها حديثاً

قال الملك :

ـ انك تسخرين أيتها المرأة . لاريب في ان هناك تخفيضاً

فقالت آستى :

ـ انى لا أسخر أيها الرجل وليس هناك تخفيض

ثم أعادت اللؤلؤتين الى مكانهما بين طيات ثيابها

فثار غضب الملك اذ ذاك وقال :

ـ هل تعلمين انني ملك تات وانني أستطيع اذا أردت أخذ كل مالديك من اللآلىء دون مقابل ؟

فنظرت اليه آستي وقالت ببرود :

ـ أحقاً ماتقول ؟ حسن . اذا سرقت بضاعتي كما تقول انك تستطيع تكون ملك اللصوص أيضاً

فضحك الذين سمعوا قولها ورأى الملك ان أحسن وسيلة هى الاشتراك معهم فى ضحكهم . وبعدئذ استمرت المساومة بيد انه قبل انتهائها بدأت كوكب الصباح فى الساعة المعينة تغني من وراء الستار فقال الملك لآستي

ـ كفى الآن . سأدفع اليك الثمن الذي تريدينه غداً . أما الآن فسأصغى الى هذه الموسيقى التي هي لدي أحب من كل شيء .

أخذ الملك يانيس يصغى الى الغناء كرجل مذهول لان كوكب كانت تغني بصوت عذب رخيم . ثم أخذ يقترب من الستار شيئاً فشيئاً دون أن تشعر به آستي اذ كانت مشتغلة بنقل البضائع الى أن وصل اليه فى النهاية فوضع أصابعه فى ثقوبه ثم مال نحوه كرجل كاد يغمى عليه وألقى بنفسه الى الوراء فسقط معه الستار على الارض وبانت من ورائه كوكب وهى واقفة سافرة الوجه ترتدي

ثوباً مزركشاً جميلا وتضرب على عودها المصنوع من العاج والذهب. وقد سطع جمالها فبهر أعين الجميع كما تبهر الشمس أعين الناظرين فلزموا الصمت لحظة ثم صاح أحدهم قائلا :

ـ لاريب في ان هذه السيدة ملكة جليلة الشأن .

وقال آخر :

ـ كلا . انها الهة

على انه لم يكد هـذا ينطق بآخر كلمة حتى كانت كوكب قد توارت عن الانظار

أما الملك يانيس وقف ينظر اليها مبهوتاً وهو يترنح قليلا ولما هربت تحول نحو آستي وقال :

ـ هل هذه السيدة جاريتك ؟

ـ كلا أيها الملك . انها ابنتي وقد أسأت اليها بتحسسك عليها

فقال يانيس بتؤدة :

ـ اذن أرغب في أن أجعل ابنتك هـذه زوجتي — هـل فهمت قولي ياتاجرة اللآلىء ؟ — وسأعطيك هدية من الذهب تعادل ثمن اللآلىء

فنظرت اليه آستي وواجهته قائلة :

ـ لقـد أراد ذلك ملوك كثيرون وقدموا الىّ أكثر مما قدمت ولكنها ليست لك ولا لاحد منهم

(٨ — ن)

فأتي يانيس بحركة كأنه همّ بضربها على انه كبح جماح غيظه وقال بهدوء :

ـ جواب خشن على سؤال لين . لاعجب اذا كان هذا جوابك اذ لا يعرفكما هنا أحد ولا يعلم من أين أتيتما . ان الاعين تراقبنا الآن . سأتكلم معك غداً . أما الآن فاستريحا فى سلام

فقالت آستى :

ـ من العبث أن . .

على انه لم يقف حتى تتم حديثها معه بل غادرها وسار فى طريقه

ذهبت آستي الى كوكب وهي في الحديقة وأبلغتها كل مادار بينها وبين الملك من الحديث فقالت كوكب بقلق :

ـ أود أن يكون كيفر الشحاذ معنا الآن لانى أشعر بأننا وقعنا في الشرك . على انه مهما فعل يانيس هذا فلن أكون زوجة له

فقالت آستى

ـ اذن أرى انه خير لنا أن نفر هذه الليلة الى الصحراء ونبحث عنه هناك لانك تعلمين ياسيدتي مايصيب الرجال الذين يقعون فى شرك جمالك

ـ نعم انني أعرف ما أصاب الامير أماتيل وما سيصيب آخر على يد من خلفتها ورائي . وعندي سيكون نصيب هـذا الملك نصيبهم ومع ذلك هيا بنا

فأطرقت آستى هنيهة ثم ذهبت الي المنزل وسألت الخدم بعض أسئلة ثم عادت في الحال وقالت :

ـ عبثاً نحاول الفرار يا ابنتى فقـد بث الملك الجنود حول المنزل وحاولت احـدى نسائنا الخروج فردها الجنود قائلين ان الملك أمر بأن لا يغادر المنزل أحد

فقالت كوكب :

ـ هـل لى أن أضرب الآن على العود وأنادي باسم كيفر كما أمرنى ؟

ـ أظن انه لم يحن الوقت بعد أيتها السيدة . فقد يزول هذا الخطر أو يأتينا رأي صائب أثناء الليل واذ ذاك يغضب لانك دعوته لغير سبب . هيا بنا الى المنزل لنأكل

فدخلتا المنزل وبينما كانتا تتناولان الطعام اذ سمعتا ضجة وجلبة ولم تلبثا أن شاهدتا على نور المصباح بعض النسوة وقد دخلن الغرفة يتقدمهن خصيان

فجردت كوكب خنجراً من بين طيات ثيابها وهجمت عليهما على ان كبيرهما وهو رجل طاعن فى السن حنى رأسه أمامها وقال

ـ انك تستطيعين قتلى اذا أردت لانني أعزل ولكن هناك كثيرين منا فى الخارج فـلا فائدة من المقاومة . اصغى الىّ . ستكونين في أمان أنت ورفيقتك . لقـد قضت ارادة الملك أن لا تقطن سيدة ذات جمال وجلال مثلك فى هذا المكان فأمرنى

أن آخذكما مع جميع مالديكما الى مكان لايتصل بهجة عن قصره ليتحدث معكما

فقالت آستى :

ـ ردى خنجرك الى غمده يا ابنتى ولا تضيعى الوقت في محادثة هؤلاء العبيد . والآن هيا بنا اذ ليس لدينا مانختاره غير ذلك

ارتدت كوكب وآستى ثيابهما وتقنعتا ثم حملتا على نقالة مزدوجة على أكتاف العبيد مع ما كان لديهما من اللآلىء والذهب في حين جمعت جواري الملك مابقى في المنزل وحملته مع الخدم وتركن المنزل قاعاً صفصفاً

حملت كوكب ومربيتها تخفرها الجنود فسار بهما الخدم مجتازين شوارع هادئة الى أن وصلوا الى أبواب كبيرة قفلت وراءهم وبعد صعود وهبوط وضعت النقالة ثم دخلت كوكب وآستي غرفة واسعة جميلة مضاءة بمصابيح فضية . في حين أخذ النساء يضعن البضائع وغيرها في الغرف المجاورة

لم يمض وقت يسير حتى انتهى ترتيب كل شيء ثم جيء بالطعام الى آستي وكوكب ولم تلبثا ان وجدتا نفسيهما منفردتين في الغرفة وقد وقفتا تنظر كل منهما الى الاخرى

رفعت كوكب العود وقالت

ـ هل أضرب على العود الآن وأنادي. انظرى يا أماه ها هي

نافذة تماثل النافذة التى تكلم عنها كيفر

فقالت آستى

- لم يحن الوقت بعد على ما أعتقد أيتها السيدة . هيا نتدبر فى الامر قبل أن نطلب مساعدة أحد

ماكادت آستى تفرغ من كلامها حتي فتح الباب ودخل الملك يانيس يرتدى ثيابه الملكية

وكان فى وسط هذه الغرفة العظيمة حوض من الماء العذب الرائق وكان يستخدم على ما يظهر لاستحمام الملكات اللائى كن يقطن فى هذه الغرفة من قبل . فوقفت كوكب وآستى فى ناحية من هذا الحوض ووقف الملك في الناحية الاخري فكان الماء حائلا بينهما وبينه

حني الملك رأسه لكوكب ثم قال

- بلغنى أيتها السيدة من خدمك أن اسمك نيفرت وانك من عذاري مصر ولماكنت لا اعرف اسمك الحقيقى فقد رضيت أن أدعوك بالاسم الذى اخترتيه لنفسك فأقول انني أتيت يانيفرت لاسألك المعذرة عما تبديته بلا ريب ذنبا عظيما اقترفته . لقد رأيت اليوم وجهك الجميل — ولا أدرى ان كان ذلك لسعادتى أو لشقائى — والآن لى رغبة واحدة وهى أن أراه مرة أخرى ثم أتمتع برؤيته كل أيام حياتى . لقد أصبحت عبداً لالهة الحب التي تسمونها فى مصر هاتور بحيث لم أعد أفكر فى شيء من

[illegible]

من دم فتاة مغنية مثلك طبعت تحت عنقها الشارة المقدسة التى تعبد في مصر

فقالت كوكب ببرود

ـ لى الشرف أيها الملك . ولكن اعلم أن لى حبيباً بين شعبى الوضيع سأتزوج به دون غيره من الرجال

ـ لك حبيب ! اذن اخفي عني اسمه لئلا أمزق جسمه أربا . أراك تهزين رأسك عالمة بلا ريب أن الرجل عظيم ومع ذلك اعلمى انى سأتغلب عليه وامزق جسمه لا لجريمة غير انك تحبينه اصغي الىّ الآن ! أريد أن اجعلك ملكة على بلادى ولكن سواء كنت ملكة أو لست ملكة فانك ستكونين لى وأنت الآن تحت سلطتى . انني لا اكرهك على ذلك وسأعطيك وقتاً كافياً فاعلمى انك ان رفضت فى صباح اليوم الثالث من هذا المساء أن تشاطريني عرشى فاننى سأكرهك على الجلوس تحت قدمي

ثار غضب كوكب اذ ذاك فخلعت قناعها ونظرت اليه وجهاً لوجه وقالت

ـ انك تظن انني عظيمة وفي الواقع لم تخطىء فانى أينما ذهبت رافقتنى آلهتى . فدعني أيها الملك واطلق سراحى لئلا ارفع صوتي الى السماء فتصب آلهتى عليك جام غضبها

فتأوه الملك يانيس وقال

ـ آه لقد صببت علىّ يانيفرت جام غضب هاتور الهة الحب

هل أنا التي قتلت الامير أماتيل ابن ملك الحبشة أو قتله شخص آخر ؟

ـ نعم قتله شخص آخر ولكن لأجلك أيتها الملكة

ـ هل كنت تريدين أن أتزوج آبي الخنزير القذر قاتل أبي وقاتل زوجك ؟ ثم هل أنا التي أريت منذ هنيهة ذلك الملك الزنجي خيالا في الماء أو هي آستي الساحرة ، آستي كاهنة آمون ؟ وأخيراً هل سيموت هذا الرجل — اذا كان لابد أن يموت — لانه يحبني وهو ذنب أغفره له اصفتي فتاة أو لانه يريد أن يكرهني على أن أكون زوجته وهو مالا أغفره له ؟ كفى يا آستي . انك تعلمين جيداً انني لست كثيرى من الفتيات . نعم قد يكون هناك دم غير بشري يجري في عروقي ولكنني على الاقل أنفذ حكما قضي به علي قبل مولدي . وسأسير في الطريق التي تقودني اليها الاشباح والالهة مهما فعلت من ضروب السوء والشر . فلماذا تعنفينني اذن ؟

ثم أمسكت عن الكلام وبكت ؟

فضمتها آستي الى صدرها وقالت :

ـ كلا . كلا . هدئي روعك يا ابنتي . انني لم أعنفك . ومن أنا حتى أستطيع أن أوجه سهام اللوم الى كوكب آمون وابنته وملكتي ؟ انني أعرف جيداً أن بيت مصيرك قد تم تشييده ولا بد أن تجتازي بابه سواء أبحرت شمالا أو جنوباً . ان خوفي

على رامس هو الذى حماني على أن أتكلم بمثل هـذه اللهجة الشـديدة ، رامس ولدي الوحيـد الذي لا أستطيع على رغم تضلعي فى فنون السحر أن أعلم سواء من رجل أو من روح هل لايزال على قيد الحياة أو انضم الي أحضان أوزوريس اذ أرى حجابًا كثيفًا قـد حال بيني وبينه . انني أخشى يا كوكب أن يكون أحد الآلهـة قد صب عليـه جام غضبه لغيرته على حبك فأورده حتفه وأسكنه رمسه قبل أوانه . ان مجرد هذه الفكرة تفتت قلبي وتلهب فؤادى

أخذت كوكب اذ ذاك تهدىء روعها هى أيضاً فقالت :

ـ لاريب انك قـد نسيت يا أماه وعد آمون ملك الآلهـة الذى قطعه على نفسه قبل ولادتي لامي أهورا وهو انني سأجد حبيباً من سـلالة الملوك وانني سألد من هذا الحبيب كثيراً من الملوك والامراء . واذا كان الامر كذلك فلا بد أن يعيش رامس

ـ لماذا يجب أن يعيش أيتها الملكة ؟ انه وان كان في الواقع من سلالة الملوك فان هناك كثيرين غيره من الامراء والملوك

فتمنعت كوكب وقد ألقت راسها على صدر مربيتها وقالت

ـ كلا يا أماه . ليس هناك آخرون . لن ألد طفلا لايدعو رامس أبًا له ومهما كنت تر تابين فى الامور الاخرى فاياك أن تشكي بذلك . . . ان رامس حي وسيعيش والا كان آمون أبو الآلهة كذابًا .

فقبلتها آستى وقالت :

ـ انك قوية الحجة يا كوكب

ثم فكرت هنيهة وقالت :

ـ هيا الآن الى عملنا . لقد حانت الساعة . خذي العود واذهبي الى النافذة ونادى كما أمرك الشحاذ أن تفعلى فى وقت الحاجة

فذهبت كوكب الى النافذة وأطلت على الفناء الواسع تحت النافذة وكان مضاءاً بنور القمر ثم ضربت على العود وصاحت ثلاثاً قائلة

كيفر ! كيفر ! كيفر !

وكان صدي صوتها يزداد شدة فى كل مرة حتى خيل اليها ان السماء والارض امتلأتا باسم كيفر

الفصل السادس عشر

كيفر والملك يانيس

بعد ظهر اليوم الثالث كانت كوكب وآستي تطلان من نافذة سجنهما الفاخر على الرحبة الواسعة التي خلف القصر حيث اعتاد الملك يانيس فى مثل هذه الساعة الجلوس في الظل ليسظر فى قضايا رعاياه . وكانتا قلقتين لان المهلة التي أعطاها لهما الملك كادت تنقضى

قالت كوكب :

ـ ان الليل أخذ يقترب ومعه سيأتي يانيس . أنظرى يا أماه كيف يرمق هذه النافذة كاسد أضره الجوع ينتظر طعامه . لم نر اثراً لكيفر ولكن ربما كان شحاداً متجولا ذا أوهام غريبة أو ربما قضى نحبه لانه رجل طاعن في السن . انه لم يظهر علامة ولم يحر آمون جواباً على رغم توسلاتى وصلاتي الحارة . انني صرت نسياً منسياً . انني فتاة منبوذة مهجورة . اخبريني ماذا أفعل وكيف الخلاص يا أماه ؟ ارشديني بحكمتك

فقالت آستي :

ـ ثقي بالالهة يا ابنتى . ان الشمس لاتغرب قبل مضى ثلاث

ساعات تستطيع الالهة فيها أن تهدم الارض وتبنيها مرة أخري تذكري أيام عانينا آلام الجوع فى البرج فى ممفيس وما أصابنا هناك . تذكرى سقوطنا الى النهر وسفينة « رع » وتذكرى الذين كانوا يقودونها . تذكرى كل ذلك يا ابنتى وثقى بالالهة

ـ انى أثق بها يا آستى ولكن ... مع ذلك ... آه ! لنخض فى حديث غير هذا . . . لا أدري ماذا حدث في ممفيس بعد أن غادرناها بمثل هذه الطريقة الغريبة ؟ هل تظنين أن « روحى » لاتزال ملكة هناك مع آبي زوجها ؟ اذا كان الامر كذلك فانى آسفة على آبى لان فى عينيها شيئا أثلج دمي في عروقي ومع ذلك تقولين انها جزء مني ، روح لاتموت صورت على صورتى واعطيت لى يوم ولادتي . كم أود أن تكون لى روح أخرى تستطيعين اخراجها الآن يا آستى لتسحري هذا الملك وتلهيه عنا حتى نتمكن من الهرب . انظري ان القضية التى ينظرها الملك الآن كادت تنتهي لانى أراه يهمس في اذن وزيره ليعجل باصدار الحكم . أن أفكار يانيس متجهة كلها الى هنا وأ كاد اشعر بأن عينيه تحرقانى من بين هذا الستار . لقد أوشك على القيام . آه من أتى ؟ استيقظي يا أماه وانظري

اذعنت آستى للامر فرأت عند باب الفناء رجلا طويلا بلحية بيضاء أصفر اللون طاعنا في السن يرتدى لباسا رثا يرتكز على عكازه ينظر فى حوله كانه لايرى شيئاً . وقدجاء رجال الحرس

يطردونه فرفع عكازه فارتدوا الى الوراء كأن في عكازه هذا سرا مجهولا . والظاهر أن عينيه اللتين تشبهان عيني السلحفاة قد وقعتا على العرش اللامع وعلى الجالس فوقه فمشي بخطوات واسعة الى العرش ووقف أمامه ثم ارتكز على عكازه ثانية

فقال الملك بغضب

ـ من هذا الرجل الذي وقف هنا دون أن يقدم الى الملك فروض الاحترام ؟

فقال كيفر

ـ هل أنت ملك ؟ انى قصير النظر جدا . لقد زعمت انك رجلا مثلى من الشعب فقط تمتاز عنى بلباسك هذا اللامع . اخبرنى كيف يكون الملوك ؟ هل لاتزال لك آمال وتتألم وتخاف الموت كغيرك من الرجال ؟ هل يشبه لحمك الذى تحت ثيابك المزركشة لحمي الذى تحت ثيابي هذه الرثه البالية ؟ هل تؤلمك الذكريات القديمة ، ذكريات الموتى الذين لن يعودوا ؟ وهل تشعر بالاحزان وآلام الفشل والخيبة ؟

فقال الملك بغضب

ـ هل جلست هنا لأحل لك الغازا أيها الاحمق . خذوه خارجا . أن لدى أعمالا

فهجم رجال الحرس لينفذوا أمر الملك ولكن كيفر رفع عكازه فى وجوههم فارتدوا ثانية الى الوراء ثم تحول نحو الملك وقال

- تقول لديك أعمال أيها الملك ؟ اظن انها لا تتعلق بالبلاد بل بشخص يقطن فى هذا القصر — ثم أشار الى الغرفة التى كانت تراقبه كوكب من نافذتها— حسن . لاتزال هناك ثلاث ساعات على غروب الشمس وعليه لديك وقت كاف لتصغى الى حديثى وهو مالا بد ان تفعل لان حديثي معك يتعلق بتلك السيدة التى تقول أن لديك معها أعمالا

فقال الملك وقد ثار غضبه

- من أين علمت بالسيدة أيها الشيخ المرذول وعلاقتي بها ؟

- انى اعلم شيئاً كثيراً عنها أيها الملك لانها ابنتى . . . هل اخبرك بالباقى ؟

فقاطعه يانيس قائلا

- هل أنت أبوها أيها الشيخ الكذاب ؟

- نعم أنا أبوها وقد جئت لاقول لك ان دمنا أقدم من دمك واننا أعظم منك حسباً ونسباً فلا ارضاك زوجا لابنتى ولا هى أيضا ترضاك زوجا لها

فاغرق بعض الذين سمعوا قوله من رجال الملك فى الضحك أما يانيس فقد ابيض وجهه الاسمر غضبا ثم أخذ صدره يعلو وينخفض وأخيراً صاح قائلا :

- اطرحوا هذا المجنون ارضاً واجذبوه خارجا واقطعوا لسانه

فهجم رجال الحرس عليه مرة أخرى ولكن قبل أن يقتربوا منه كان كيفر قد بدأ يتكلم بصوت مروع فلم يجرأ أحد على الدنو منه

قال كيفر

ـ احذروا يارجال تات أن تضعوا أصبعاً واحداً عليّ لانكم لاتعرفون من يرتدي هذه الخرق البالية . وانت يا يانيس يامن تدعو نفسك ملكا اصغ الى أوامر ملك أعظم منك عرشه هناك فوق الشمس . اطلق سراح تلك العذراء التي تريد اغتصابها قبل غروب الشمس ودعها هي ورفيقتها واعطهما كل بضائعهما وارسلهما الى ابواب مدينتك الجنوبية واتركهما ولا تمسهما بسوء . هذا أمر ملك الملوك الذى يقطن عالياً في السماء

فقال يانيس

ـ وماذا يجرى اذا سخرت من أمر هذا الملك ؟

فاجاب كيفر

ـ لاتسخر منه ايها الملك . تذكر الصورة التى أرتك اياها السيدة آستي فى الماء ولا تسخر

ـ انها كانت حيلة مصرية ايها الساحر ، حيلة كانت لك يد فيها اذهب من أمامى . فاني أنكرك وانكر سحرك وملكك . ستكون تلك العذراء روجتي هذه الليلة

ـ اذن اسمع يا يانيس ملك تات الحكم الذى أرسلت لابلغك اياه . ستتزوج في هذه الايلة بعروس أخرى هى الموت وسيرت افقك

المعينة وقد شدد عزيمته الى الغرفة التى كانت فيها كوكب وآستي وترك حرسه من الخصيان عند الباب . وكانت المصابيح مضاءة داخل القاعة والنوافذ مغلقة ولكن كانت رياح الصحراء تهب في الخارج بشدة والجو مملوء بالاتربة

وقفت كوكب وآستى في الناحية الاخرى من الحوض كالمرة السابقة فقال الملك

هذه هي الساعة المعينة ايتها السيدة وقد جئت لاقف على جوابك

فقالت كوكب

ـ اصغ الىّ أيها الملك لمصلحتك لا لمصلحتى . انى أعظم مما تظن . أن لدى اصدقاء في الارض والجو وقد زارك واحدهم اليوم فى فناء القصر . خل عنك أيها الملك هذا الجنون وثب الى رشدك واطلق سراحى لانني أريد لك الخير لا الشر . واعلم انك ان وضعت أصبعاً واحداً علىّ جررت الشر على رأسك أو قتلت أنا نفسى بيدى

فقال يانيس ببرود

ـ كفي تهديد ايتها السيدة ... انى في انتظار جوابك

فقالت كوكب

ـ انني أسديك النصح لآخر مرة أيها الملك . انك تزعم اننى أتسلح بالكذب لانقذ نفسى ولكن ليس الامر ما تزعم . اننى

اريد انقاذك انت انظر الآن — ثم نزعت قناعها ونحت ماغطى صدرها من الثياب — انظر الى هذا الوشم الذى طبع على صدرى وفكر فيما اذا كان من الصواب أن تعتدى على فتاة تحمل هذا الرمز المقدس ؟

فقال يانيس بصوت مبحوح وقد جن عند رؤية جمالها الفتان

ـ لقد سمعت عن مثل هذا الرمز فهم يقولون ان صاحبته ولدت فى مدينة طيبة من أب غريب . ولكن اذا كان الامر كذلك كيف جاءت الى هنا ؟ اننى اعلم انها تملك الان على مصر

ـ الق هذا السؤال على عرافيك أيها الملك ولكن اعلم ان الاشاعة لاتكذب دائما . دع ابنة هذا الاب الغريب تذهب الى سبيلها

ـ ادهناك رجلا آخر يدّعى انه أبوك أيتها السيدة كنت أود أن يجلده جنودى حتى يموت وهو رجل شحاذ بخرق قذرة بالية

فتكلمت آستى لأول مرة قائلة

ـ رجل لايستطيع جنودك مسه أو العثور عليه

فاستطرد يانيس فى كلامه دون أن يعيرها اهتماما وقال

ـ حسن . اعلمى انه سواء كان أبوك شحاذا أو الها وانه لو كنت أنت هاتور نفسها نزلت من عليائها لتورد الناس كأس الردى — فلا بدلى أن أحظى بك . احيبي للمرة الثالثة هل تريدين أن تكوني ملكة على بلادي باختيارك او هل لابد لى أن أدعو

نسائي ليغرقن هذه الساحرة التي بجانبك في الماء ويجذبنك خارجا ؟

فلم تحر كوكب جواباً ثم أسدلت قناعها ووضعت ذراعيها على صدرها وانتظرت . أما آستى فسخرت منه وهزأت به وقالت بصوت عال لكي يسمعه لان صوت الزوبعة كان يدوى في الخارج :

ـ أدع نساءك أيها الملك لان الجو مملوء بالرمال التى تحبس صوتى . انى مشتاقة الى المياه التى وعدتنى بها

فتحول يانيس وكان يغلى كالمرجل وصاح قائلا

ـ تعالن أيتها الجواري وافعلن ما أمرتكنّ به

ما كاد الملك يفرغ من كلامه حتى فتح الباب على مصراعيه فجأة ودخل كيفر الشحاذ . ولم يكن لابساً خرقه البالية بل كان يرتدي لباساً أبيض يتبعه رجال شاهرين السيوف الملطخة بالدماء وكانوا كالوحوش بأعين مستديرة ووجوه سوداء ولحى طويلة وسلاسل ذهبية ترن على دروعهم وهم من قواد الصحراء الذين لا يعرفون معنى الخوف أو الرحمة

نظر اليهم يانيس وأدرك غايتهم فسل سيفه ثم وقف هنيهة وهو لا يدرى ماذا يفعل فى حين أحدق به الرجال العظام والتفوا حوله وانتظروا وهم ينظرون الى كيفر

قالت كوكب :

ـ لا تقتله يا أبتى واصفح عنه اذا شئت لان الحب قد سحر

قلبه وفتن لبه

فقال كيفر بهيبة وجلال :

ـ لقد سبق السيف العذل يا ابنتي . ان الذين لا يقبلون انذار الآلهة يجب أن يتحملوا انتقام الآلهة . اعلم ياياتيس يامن أردت اغتصاب امرأة ضعيفة ان قصرك الآن يحترق ومدينتك في قبضة يدي وقد قتل القليلون الذين كانوا حولك . غداً يجلس مكانك ملك آخر فقد قضى آمون عليك بالموت

فردّد يانيس صدى قوله قائلا :

ـ نعم لقد سبق السيف العذل . ان البشر لا يستطيعون محاربة الآلهة . لقد شاء أحد الآلهة أن أحب وشاء الآخر أن أموت . ليكن ذلك . يسرني أن أمرت . لقد ولدت لاعرف الاحزان والموت . أخبرني أيها النبي أية قوة شريرة قضت أن نولد ونتألم ؟

فأشار كيفر الى كوكب وآستي فتبعتاه وتركتا يانيس فى وسط هؤلاء الرجال الغلاظ

نادى يانيس كوكب قبل أن تغادر الغرفة قائلا :

ـ الوداع أيتها السيدة . تذكري الآن وفيما بعد يانيس ملك تات ولا تنسى أنه فضل الموت على الحياة لاجلك

وهكذا ذهبتا دون أن ترياه مرة أخرى

اجتازت كوكب وآستي وكيفر باب القاعة وكان حوله جثث

القتلى من رجال الحرس والخصيان . ثم نزلوا من السلم واجتازوا الابواب الخارجية حيث وجـدوا قتلى آخرين من الجنود . ثم نظروا خلفهم فوجدوا القصر شعلة من نار

وصلت كوكب ومربيتها الى الرحبـة الواقعة أمام القصر فوجدتا بعض العبيد فى انتظارهما فأمرهم كيفر أن يحملوا السيدتين على نقاله فحملوهما على الاعناق وساروا بهما الى حيث لا تعلمان

بات الرجال طول الليل سائرين بهما الى أن طلع النهار فنزلت كوكب وآستى من النقالة فوجدتا نفسيهما في واحة وسط الصحراء يحيط بهما جيش جرار من رجال البادية . ولم تريا شيئاً من مدينة تات وهكذا مرت كحلم من الاحلام فلم تسمعا شيئاً عنها أو عن ملكها . وقد وجدتا فى الخيمة التى ضربت لهما لآلئهما وذهبهما وعود كوكب المصنوع من العاج .

وكان التعب قد أخذ منهما مأخذاً عظيما فنامتا داخل الخيمة نوماً عميقاً ولم تستيقظا الا في الصباح فقامتا وأكلتا مما كان لديهما من الطعام ثم خرجتا فوجدتا كيفر واقفاً في ظل بعض أشجار النخيل ينتظر قدومهما وكان معه بعض رجال أشداء من رؤساء قبائل الصحراء فحنوا رؤوسهم لهما اكراماً واجلالا .

خاطبهما كيفر قائلا :

ـ اصغى الىّ أيتها السيدة نيفرت وأنت أيتها السيدة آستى رفيقتها . لقد انتهت مهمتى ولابد لي من الذهاب لان البلاد التى

***

المشرقة جاء قائد رجال الصحراء وحنى رأسه أمامهما ثم قال :

ـ لقد قمنا أيتها السيدة المقدسة بالمهمة التي وضعها على كاهلنا كيفر ملك الصحراء القديم . ها أمامك مدينة ناباتا التي قضينا في الوصول اليها هذه الاشهر الطويلة الشاقة . اعلمي اننا لا نستطيع الاقتراب خطوة واحدة من أسوارها اذ أقسمنا من جيل الى جيل أن لا ندخل مدينة من المدن الا في حرب . لقد انقضت مهمتنا أيتها السيدة وأخذ رجالنا يتذمرون لانهم يريدون العودة الى أرضهم حيث ينتظرهم أولادهم ونساؤهم قبل أن يزعم أهل ناباتا أننا أعداء فيأتون لمحاربتنا

فقالت كوكب :

ـ حسن . انني أشكركم وستجازيكم الآلهة على حسن صنيعكم دعونا وعودوا أنتم الى بلادكم ولكن قبل أن تعودوا أقبلوا هدية مني

ثم أرسلت في طلب الذهب الذي جمعته هي وآستي من مدينة تات وأعطتهم اياه ليقتسموه بينهم وكان كنزاً عظيماً غالياً ولم تحتفظ بغير اللآلئ وشيء قليل من الذهب. فحياها القواد وساروا مع رجالهم في الحال ولم يلبثوا ان اختفوا عن الانظار وسط ستار من الغبار

راقبتهم كوكب وآستي من فوق دابتيهما وهم سائرون كحلم من أحلام الليل . ولما تواروا عن الانظار التفت كل منهما بردائها

الى أين تذهبان. وفيما هما مترددتان فتحت أبواب القصر وخرجت منه كوكبة من الفرسان المدججين بالسلاح

همست آستي في اذن كوكب وقالت

ـ انظري ما كتب على دروعهم

نظرت كوكب فماذا قرأت ؟ قرأت اسمها منقوشاً على الدروع تليه القاب جديدة — ملكة الاراضي العليا والسفلى وفاتحة أبواب الجنوب وملكة ناباتا المقدسة بفضل آمون أبي الآلهة —

فتمتمت قائلة

ـ يظهر أن لي رعايا هنا

ثم أمسكت عن الكلام اذ رأت رجلا يمتطي صهوة جواد جميل خيل اليها انها تعرفه على رغم المسافة البعيدة التي كانت بينهما

قالت كوكب متلعثمة

ـ من هذا ؟

فقالت آستي وقد أمسكت بعنان دابتها

ـ أن قلبي يحدثني بانه رامس ولدي

الفصل السابع عشر

لقاء الحبيبين

كان هذا الشخص رامس بعينه ، رامس وقد ارتسمت على وجهه علامات البؤس والحزن ، رامس دون غيره من الرجال ماجت أعينهما واضطربت قلوبهما عند رؤيته فقالت آستى

ـ قولى هل نعلن انفسنا ؟

أجابت كوكب

ـ كلا . ليس فى هذا المكان ولا الآن . انه لايصدق قولنا ناهيك باننا لانستطيع أن نسفر عن وجوهنا أمام كل هؤلاء الرجال ثم اريد أن اقف أولا على كل أخباره فدعيه الآن يمر

سار رامس وهو متطى صهوة جواده الى أن صار مقابل المكان الذى جلست فيه المرأتان فوق دابتيهما تحت الشجرة فاحس بشيء قدحول نظره نحوهما فنظر اليهما أولا بدون اكتراث وسار فى طريقه ثم نظر ثانية وحول رأسه مرة أخرى ولكن ببطء ثم نظر للمرة الثالثة على انه في هذه المرة بقيت عيناه شاخصتين الى المرأتين المقنعتين الجالستين تحت الشجرة ثم لوى عنان جواده

كانه يعمل تحت تأثير ما وسار نحوهما . ولما وصل اليهما قال :

ـ من أنتما أيتها السيدتان ؟

فحنت كوكب رأسها لكي يستر قناعها شكلها وأجابت آستى بصوت مصطنع قائله :

ـ اننا تاجرتان ياسيدي واحدانا تضرب على العود وتغني . وقد سرنا فى النيل الى «مدينة الذهب» لاننا علمنا أن اللآلئ نادرة فى ناباتا وعلمنا أيضاً أن ملك هذه المدينة الجديد يحب الغناء الجميل . وقد تعلمت رفيقتى الضرب على العود والغناء في مصر في مدينة طيبة المقدسة ولكن من أنت ياسيدى حتى تسألنا هذه الاسئلة ؟

فقال رامس :

ـ انى مصرى أيتها السيدة أحكم هذه المدينة من قبل ملكة مصر التى كنت أعرفها مرة . وربما يجدر بى أن أقول انني أحكم هذه المدينة بالنيابة عن فرعون مصر لان جواسيسي أبلغوني أن كوكب آمون تزوجت آبى أمير ممفيس ولو أنهم قالوا أنه وجدها زوجة مستبدة

ثم ضحك ضحكة مرة

فقالت آستى :

ـ لقد مضى علينا وقت طويل منذ غادرنا مدينة طيبة المقدسة

ولا نعرف من أخبارها شيئا اذ ليس لنا هم غير التنقل من مدينة الى مدينة للاتجار . واذا كنت يا سيدى حاكم هذه المدينة فانا نتوسل اليك بصفتنا من فلاحات بلادك أن ترشدنا عن مكان نبيت فيه فى سلام . ثم أسمح لنا أن نعرض أمامك لا لئنا بعد ظهر اليوم وبعد ذلك سواء اشتريت منها شيئا أو رفضت اسمح لرنيتى هذه أن تغني لك بعض الأغانى المصرية القديمة

فقال رامس

ـ انني أيتها السيدتان جندي أؤثر شراء السيوف على اللآلىء ثم اعلما انني رجل أقطن وحدى وليس فى منزلى خيال امرأة . على انني سأجيب طلبكما لا نكما من مواطني أو لسبب ما لا أدرى وحق المعبود آمون ماهو ؟ سأذهب الآن لأدرب هذه الفصيلة على الحركات العسكرية وعليكما أن تأتيا الى قصرى قبل غروب الشمس لأرى بضاعتكما واسمع غناءكما . أما الآن فالى الملتقى

ثم نادى أحد الضباط وكان واقفاً خلفه وعلى مسافة قريبة منه قائلا

ـ رافق هاتين السيدتين المصريتين الى احدى الغرف الخاصة بالضيوف حيث تمكثان فى أمان وسلام وفى المساء قدمهما الي

ثم سار رامس وعيناه لاتفتآن تنظران اليهما وبعد ذهابه رافقهما الضابط الى القصر

***

حان وقت الغروب فارتدت كوكب ثوبا أبيض جميلا مزركشا بخيوط ذهبية ثم جلست تنتظر المثول بين يدى رامس حبيبها وشعرها الاسود الطويل مسترسلا على كتفيها وعلى صدرها عقد كبير من اللآلىء وعلى وجهها قناع كثيف وفى يدها عودها المصنوع من العاج والذهب . وكذا انتظرت آستى أمه وكانت ترتدى ثوبا أسود وعلى رأسها قناع أسود

لم تمض مدة وجيزة حتى جاءهما الضابط الذي رافقهما الى القصر وسألهما هل هما متأهبتان لمقابلة والى ناباتا

فقالت آستى

– والى ؟ ظننت انه الملك

أجابها الضابط

– انه ملك المدينة أيتها السيدة ولكنه أراد أن يطلق على نفسه اسم والى كوكب الصباح ، ابنة آمون وزوجة آبى المغتصب الذي يحكم الآن في مصر . وهى فكرة جنونية مع أنه يستطيع أن يجعل نفسه فرعون مصر على حسابه . ولكن هكذا أراد

فقالت آستى

– حسن ياسيدى . ليس لنا نحن التجار أن نخوض في شئون عظيمة كهذه . تقدمنا الى هـذا الملك أو القائد أو الوالى لعلنا نستطيع أن نربح منه شيئا

[illegible]

وجهيها المقنعين . ولـكن رامس لم يلاحظ شيئا من ذلك على رغم تفرسه الشديد فى وجهيها

أخيرا قالت آستى وقد تماسكت نفسها بصعوبة

ــ ربما اشترت زوجتك ياسيدي أو احدى نسائك اذا لم ترد أنت شراء شيء

فقال رامس بغضب

ــ ألم أخبرك ايتها التاجرة انني غير متزوج وليس فى بيتي خيال امرأة ؟

فقالت بتواضع وكانت تتكلم دائما بصوت مصطنع

ــ نعم قلت ذلك ياسيدى فاصفح عنا اذا لم نصدقك فقد رأيت انا وابنتى أثناء رحلتنا كثيراً من الامراء الذين ينافى عملك هذا طبيعتهم ومع لك سنعرض عليك مامعنا من اللالىء لان أهل ناباتا ليسوا كلهم بدون زوجات

أخرجت آســتى دون أن تنطق بكلمة أخرى صندوقا من خشب السنوبر وفتحته ثم قدمت اليه اكليلا من اللالىء الكبيرة فقال رامس وهو ينظر اليها

ــ ما أجمله ولو أنه لايحق لاحـد أن يلبس هذا التاج غير ملـكة مصر العليا والسفلى المقدسة

ثم تنهد

وفي النهاية قال رامس :

ـ أية حيلة هذه . ان أمامي تقف كوكب آمون ملكة مصر المدهونة بالزيت . والعود الذي تحمله هو العود الذي أهداه اياها الامير أماتيل الذي قتلته تلك الليلة بحد حسامي . والصوت صوت ملكة مصر والاغنية أغنيتها . كلا . كلا . كيف يمكن ذلك ؟ انى مجنون . انكما ساحرتان جئتما لتهزآ بي وتسخرا مني لان كوكب ابنة آمون تحكم فى بلاد بعيدة عن هنا ألوفاً من الاميال مع زوجها الذي اختارته وهو آبي عمها الذى قتل فرعون . . . اليكما عنى أيتها الساحرتان والا أرسلت الى كهنة آمون الذي تسخران منه أيضاً ليلقوكما في النار

كشفت كوكب بهدوء وسكينة عن صدرها وأرته رمز الحياة الذى رسم على صدرها منذ ولادتها وقالت بصوت عذب رقيق :

ـ هل تظن انهم اذا مارأوا هذا الرمز المقدس يلقوننى في النار يا ابن مرمس ؟

ـ ولم لا ؟ اذا كنت تستطيعين الكذب فى شيء استطعت الكذب في كل شيء . ان التي استطاعت أن تسرق جمال ملكة مصر تستطيع أن تسرق رمز الاله

ـ قل لى يارامس هل سرقت أنت كذلك ذاك الخاتم الآخر الذى في يدك — هدية ملكة على ما أظن — وقد لبسه أحد

الفراعنة مرة ؟ وقل لي أيضاً كيف فقـدت خنصر تلك اليد ؟ هل التهمها حوت متدس وأنت صغير فى بركة الهيكل فى مدينة طيبة المقدسة ؟

فرغت كوكب من كلامها لحاول رامس الجواب ولـكنه لم يستطع . فعادت كوكب الى الكلام وقالت :

ـ انني لا أستطيع أن أحمل هذا السيد على الاعتقاد بأنني ملكة مصر دون غيري لحاولى أنت يا أماه

نزعت آستى قناعها فنظر رامس الى وجهها النبيل ولم يلبث أن صرخ صرخة عظيمة قائلا :

ـ أمي . أمي . لقد أقسموا لي انك مت في مدينة ممفيس

ثم ألقى بنفسه على صدرها وأجهش فى البكاء

فقالت آستى :

ـ نعم يارامس أنا أمك التي حملتك في بطنهـا دون سواي ومعى حبيبتك التى قضى عليهـا حبها لك أن تتجشم من أجلك الاخطار شهراً بعدشهر مدة عامين كاملين وتسير في الفيافى والقفار مسـتهدفة للأخطار ومطامع الرجال الى أن شاء آمون أبوها أن تأتى اليك سالمة في أمان . . . فهل صدقت الآن ؟

فقال رامس :

ـ نعم . نعم لقد صدقت

فقالت كوكب :

ـ اذن خذ أيها القائد الامين هذه الهدية من ملكة مصر وهي الهدية التى القيتها منذ هنيهة جانباً وكن صاحب التاج وسيدى

ثم رفعت تاج اللآلئ ووضعته على جبينه كما فعلت ذلك مرة في تلك الساعة ، ساعة الفجر لما وهبت نفسها له في مدينة طيبة

***

كان الليل قد أرخى سدوله . ولما فرغتا من ذكر قصتهما الغريبة قالت آستى :

ـ هذه قصتنا ياولدى . فمهما بحثت ومهما نقبت لا تجد لها مثيلا . الآن اذكر لنا أنت قصتك

فقال رامس :

ـ ان قصتى قصيرة يا أماه . فقد أطعت أمر جلالتها — ثم نظر الى كوكب وحنى رأسه اكراماً — وسافرت محاذياً للنيل الى هذه المدينة . ولما كان الملك القديم والد الامير أماتيل الحبشي قد أراد قتلى حاربته أولا بمساعدة الجيش المصرى ثم بمساعدة رعاياه الى أن تغلبت عليه وقتلته . ولم يأسف عليه أحد لانه كان ملكا شريراً . وهكذا خلفته فى الحكم ومن ثم أخذت أعمل على اصلاح شؤون البلاد . وقد كنت أود الرجوع منذ

زمن بعيد الى مصر لاقدم تقريرى الى الملكة ولكن جواسيسي أبلغونى كل ماجرى هنا لك فاخبرونى مثلا بقتل فرعون بواسطة سحر آبى ورجاله وقالوا ان ابنة فرعون وكوكب آمون نسيت كل شيء ونسيت اليمين الذى أقسمته لى وتزوجت بعمها آبى الشيخ لكي تحتفظ بحياتها وقوتها

فقالت كوكب بلهجة التأنيب .

ـ وهل صدقتهم يا رامس ؟

ـ ماذا كنت أفعل غير ذلك أيتها السيدة بعد أن سمعت جواسيسى يقسمون بأغلظ الايمان أنهم شاهدوا جلالتك جالسة على عرشك فى ممفيس وفي غيرها وانك كنت ترسلين آبى هنا وهناك كالكلب الصغير وهو يطيع أمرك في كل شيء ؟ ومن أين لى أن اعرف أن « روحك » هى التى تزوجت بآبى ولست أنت ؟

فقالت كوكب :

ـ أظن انآبى قدعرف الحقيقة الآن . ولكن الآن ما العمل ؟

ـ هل لك ان تتزوجى بى أولا أيتها السيدة ؟ وبعد ذلك تتدبر فى الامر

ـ نعم لا بد أن أتزوج بك كما وعدتك ولكني لا أتزوج بك الا فى مكان واحد هو هيكل آمون فى مصر . أرجع لى

عرشي أولا ثم اطلب يدي
ـ سيكون ذلك ولو انني لا أدري كيف يمكن الوصول الى هذه الغاية اذ أرى غيرك جالسة على عرشك وربما ترفض مغادرته
فقالت آستي :
ـ سنرسل اليها رسالة ياولدي . الآن دعنا لاننا نريد النوم
فقال رامس وقد همّ بمغادرة الغرفة
ـ أين رسولك يا أماه ؟
ـ أتعرفني كل هـذه السنين الطويلة ياولدي ولا تدرى ان لدى خداماً لا تستطيع رؤيتهم ؟

***

انتصف الليل فقامت آستي وكوكب في غرفتهما في قصر رامس وركعتا جنباً الى جنب وأخذتا تصليان الى آمون أبي الآلهة ولما فرغتا من صلاتهما قامت آستي وألقت الكلمات الرهيبة التي ألقتها من قبل في البرج في ممفيس وهى الكلمات التى علمتها اياها روح أهورا المقدسة

سمع صوت خافت يهمس ثم صوت كرفرفة أجنحة الطير ثم ظهر فى الظل الواقع وراء المصباح سحابة تجمعت ثم أخذت تضيء تدريجياً الى أن تحولت الى شكل امرأة من سلالة الملوك ترتدي ثياب ملكة مصر وحليها ، يشبه وجهها وجه كوكب

[illegible]

[illegible]

وأعلن انه زوجك بناء على وعد فرعون . ثم احملى آبى على ان يحشد جيشاً جراراً ويسير جنوباً ليقضي على رامس . وعليك ان تسرى فى آذان قواد الجيس انفرعون وعد حقاً بزواجك برامس برضاك وبأمر آمون أبى الالهة وروحك وقولى لهم ان آمون قد غضب على آبي بسبب جريمته التى اقترفها كما سيريهم المعبود ذلك فى حينه وان الذين يثورون في وجهه ينالون حب آمون ورضاه . وسيقابل رامس جيش آبى عند « باب الجنوب » حيث يجرى النيل شمالا بين سورين عظيمين من الصخور . وستأتي معه التى أنت جزء منها وأنا التى يجب ان تطيعيني . وقد يأتى معنا من هو أعظم مناجميعنا . وستنتهى مهمتك عند « باب الجنوب » واذ ذاك تجدين الراحة التي تنشدينها

فقالت « الروح » بصوتها الهادىء

ـ سمعت أمرك وسأطيع . فقط عليك يا سيدة الاسرار وفاعلة « الارادة المقدسة » ان لاتبطئي مخافة ان يحملني الملل على العودة الى مكاني كشعلة من نار تدمر مافى طريقها وتحرقه

ثم تلاشى الخيال بعدئذ كما ظهر

***

أشرقت شمس الصباح على مدينة طيبة فجلس آبي فى قاعة فرعون الكبرى ينظر فى شئون البلاد وبجانبه كاكو وزيره

يلج تحرى خداع الحية القتال . انني أدعى فرعون ولكنى لست الا أداة أنفذ ارادتها وأوامرها وأدعي زوجها ولكنها ليست زوجة لى أو لغيرى ولو ان الجميع قد وقعوا في شرك غرامها وكتب على كثيرين منهم الموت لاجلها . لقد اختفت ليلة امس مرة أخرى وهي جالسة بجانبى تلقى علىّ أوامرها وبعد مدة وجيزة ظهرت بجانبى ثانية كما كانت الا أنها كانت تشعر على مايظهر بشيء من التعب . وقد سألتها أين كانت فقالت انها كانت فى مكان لا أصل اليه قبل عام لزيارة حبيب تحبه بقدر ماتبغضنى . . . ترى من يكون هذا الرجل ياكاكو ؟

ـ أظن انه رامس ياسيدي الذي جعل نفسه ملكا على بلاد الحبشة . انها بلا مراء كانت تحب الرجل وهي فتاة . أما الآن فان آلهة الشر وحدها هي التى تعرف حبيبها . اننا فى قبضة يدها فلا مندوحة من الادعان لارادتها وان لم نفعل متنا ياسيدي لان فرعون ينتظرنا وراء الباب

تأوه آبى عند سماع هذه الكلمات بصوت عال ومسح العرق الذى كان يتصبب من جبينه بطرف ثوبه ثم قال :

ـ لقد نطقت بالصواب . اهب رابع الكتبة ثم هيا ننفذ أمر الملكة .

(— ف)

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

ـ انني جئت كزوجة أمينة مخلصة لاتوسل الى فرعون زوجي وأطلب اليه أمنية أرجوها بحضور مجلسه

فقال آبي :

ـ قومي وتكلمي أيتها السيدة العظيمة فانه لايليق أن تركعي أمامي

ـ كلا . انه يليق بامرأة فرعون أن تركع أمام زوجها اذا أرادت أن تنال رضاه

بيد انها قامت وجلست على كرسي أعد لها ثم قالت :

ـ رأيت أمس رؤيا يافرعون : رأيت الاميررامس بن مرمس آخر سلالة أولئك الفراعنة الذين حكموا مصر أخيراً ، رامس الذي قتل الامير أماتيل في هذه الغرفة عينها وأرسلته أثناء مرض فرعون والدي الى ناباتا ليحاكمه ملك الحبشة فخلع ذاك الملك على مايظهر وقتله واستولى على بلاده باسم مصر — رأيت في المنام ان هذا الرجل الباسل والقائد القادر وضع خطة لشن الغارة على مصر وليقتلك أيها الملك العظيم ثم ينادى بنفسه ملكا على مصر بحق دمه القديم بل وليفعل أكثر من ذلك وهو أن يتخذ زوجتك الوفية المخلصة زوجة له ويستولى بذلك على العرش

فقال آبي :

ـ لاريب أيتها الملكة في ان رامس هذا الثائر يفكر في

ـ أرى نوراً يضيء في داخلي . وقد شاهدت ان الرؤيا الثانية التى رأتها صاحبة الجلالة هى الرؤيا الصادقة . فعليك أيها الملك أن تسير بجيشك الى « باب الجنوب » وهناك تلتقى بذاك المغتصب رامس لكي تصل هذه الامور الى نهايتها المعينة

فصرخ آبى قائلا :

ـ نهايتها المعينة ؟ أية نهاية تعني ؟

فقال كاكو :

ـ هي النهاية التي ذكرتها صاحبة الجلالة ورأتها فى المنام . وعلى كل حال أشعر بشيء يدفعني الى القول بأنه يجب عليك أن تسير بجيشك الي « باب الجنوب »

فصاح آبى قائلا :

ـ كم أود أن تخسف بك الارض أيها العالم الشرير ! لم أقض غير عامين في الحكم ومع ذلك حاربت فى خلالهما ثلاث حروب احداها ضد ملك سوريا والاخرى ضد سكان الصحراء والثالثة ضد البرابرة الذين أغاروا على الدلتا . والآن تطلب الىّ وقد صرت شيخاً هرماً أن أتجشم مخاطر حرب أخرى ضد أبناء الحبشة الابطال . ولكن ليأت هذا الكلب رامس فلا بد أن أشنقه هنا عند أبواب مدينة طيبة

فقال كاكو :

ـ كلا . كلا أيها الملك . انني كلفت أن أخبرك بأنه يجب عليك أن تشنقه فى الصحراء . . هذا تفسير الرؤيا وهذا أمر الآلهة

فقالت الملكة بصوت الظافر :

ـ لقد تكلمت الآلهة بلسان نبيها . الآن هيا نتأهب أيها الملك وأنتم أيها الكهنة والمستشارون والقواد للسفر الى باب الجنوب وهناك نشنق الكلب رامس في الصحراء فتنجو مصر وملكها وملكتها من الاخطار وتبقى في سلام وأمان ونقتسم ثروة مدينة الذهب بيننا

فقال الكهنة والمستشارون والقواد وكاكو وقد صاح رغم ارادته فى هذه المرة أيضاً

ـ نعم . نعم هيا بنا الى « باب الجنوب » وبرفقتنا جلالة الملكة

فقالت الملكة :

ـ نعم سأرافقكم فانني لا أحجم عن شيء يقدم عليه زوجى المحبوب . سنبحر فى أوائل الشهر

***

فى تلك الليلة وقف كاكو وآبى وجهاً لوجه فقال الملك :

ـ ماهـذا الذى فعلت يا كاكو ؟ هـل نسيت الكلمات التى ذكرها فرعون الميت لي في تلك الرؤيا المزعجة التى رأيتها فى ممفيس عنـد ما أمرنى أن أحظى بالملكة التى أردت أن أتخذها زوجة لي ؟ ألا تتذكر انه أمرنى أيضاً أن أحكم بحقها حتى أقابل رامس

ابن مرمس ومعه شحاذ يحمل رسالة الىّ ؟

فأجاب كاكو بصوت خافت :

ـ نعم أتذكر

ـ اذن ماهى تلك الرسالة أيها الرجل الذى سيحملها الى رامس أو الشحاذ ؟ أليست رسالة موتي وموتك وموتنا جميعاً وقد فرغنا من تشييد قبورنا أمس ؟

ـ قد يكون ذلك ياسيدى

ـ اذن لماذا فسرت حلم الملكة بأنه يجب علىّ أن أذهب الى ناحية الجنوب للقاء رامس هذا عينه . . . وألقى حتفى ؟

فتأوه كاكو وقال :

ـ لانى لم أستطع أن أقول غير ذلك. فقد أكرهنى هذا الروح الذي يسمي الملكة على أن أقول ماقلت . لقد وقعنا في شرك القدر فلا مفر . . مالم . . مالم تجرؤ . .

ثم نظر نظرة ذات معنى الى السيف المدلى بجانب فرعون فقال آبى :

ـ كلا . يا كاكو . لا أستطيع . لنقض الايام الباقية من حياتنا ولنستقبل مايقضى به القدر فيما وراء الباب

فتأوه كاكو وقال :

ـ نعم فيما وراء « باب الجنوب » حيث سنلتقى برامس المنتقم وذاك الشحاذ الذي يحمل الينا رسالة

الفصل الثامن عشر

عاقبة الظالمين

انقضت على هذه الحوادث ثلاثة شهور . وكان جيش فرعون معسكراً وراء « باب الجنوب » وسفنه العديدة راسية على شاطىء النيل . وقد تأهبت الجنود للقتال اذ علم آبى من العيون والارصاد التى بثها أن رامس ملك الحبشة يزحف شمالا بسرعة مع جيش صغير . وكان الملك يطمع في قهر خصمه والتغلب عليه بدون كبير مشقة وكانت الملكة المروعة تشاطره هذا الرأى وتشدد عزيمته

وفي مساء ذات يوم علم جيش فرعون أن جنود رامس ظهرت واحتلت الجبال الواقعة على ضفة النيل اليمنى وعسكرت حول هيكل آمون الذى شيد هناك منذ ألوف من السنين . فقالت الملكة :

- حسن . سيخرج فرعون الى لقائه غداً ويضع حداً لهذا الامر . أليس كذلك أيها الملك ؟

ثم نظرت اليه بعينيها البراقتين فقال آبي :

نعم . نعم . سأنقض عليه غداً انقضاض الصاعقة . لقد عيل صبري وتقت الى العودة الى طيبة

ثم قال بصوت المرتاب :

ـ ومع ذلك أرانى أشك فى نفسى ولا أدرى لماذا . . . لماذا تنظر في السماء يا كاكو وماذا ترى ؟

تحولت أعـين الجميع نحو كاكو الوزير فرأوه على قلق واضطراب عظيمين وقد رفع أصبعاً يرتجف نحو السماء وقال :

ـ انظروا

نظروا فرأوا نجماً ساطعاً فى السماء بشكل غريب وبجانبه نجم آخر معتم ورأوا كأن النجم الاول قد حجب الثانى

قال كاكو بصوت تضطرب نبراته :

ـ هذا نجم آمون ونجمك أيها الملك وقد أخذ نجم آمون يحجبه . وسيذهب نجمك ويتلاشى فلا يراه أحد . آه يا آبي . ان هذا ماتنبأت به منذ أعوام وها قد وقع . ان يومك قد انقضى وساعتك قد حانت

فثار غضب آبي وقال وهو يضطرب :

ـ اذا كان الامر كذلك فثق أيها الكلب بأن نصيبك سيكون نصيبي

وبينما كان آبي يتكلم سمع صراخ وعويل يقترب ولم تمض

لحظة حتى دخلت مرتيرا زوجة كاكو وسطهم وصاحت قائلة :

ـ انتقام الآلهة . انتقام الآلهة . أصغ اليّ يا آبى . كنت نائمة فى خيمتى الآن وقد مضت مدة طويلة لم أذق طعم النوم فرأيت خيال فرعون الميت الذي قتلناه بسحرنا فقال لى : « اخبرى آبى السفاح والساحر كاكو زوجك انني أدعوهما الى مقابلتى قبل أن تغرب شمس يوم آخر وتعالي أيتها المرأة معهما » ... ان الموت قاب قوسين أو أدني يا آبى . . . الموت وانتقام الآلهة

ثم سقطت وقد أغمي عليها

اضطرب آبى وكاد يذهب عقله من شدة الخوف وصاح قائلا :

ـ انهم سحرة يريدون سحرى . خذوهم واجلدوا كاكو الى أن يثوب الى رشده . سأشنق هذا الساحر مع رامس غداً

فضحكت الملكة لقوله وأمنت على كلامه قائلة :

ـ نعم . نعم أيها الملك العظيم . غداً اشنق هذا الساحر اللئيم مع رامس جنباً الى جنب . لا تخف . سيكون ذلك مهما حدث

***

أفاقت مرتيرا من أغمائها وكانت نائمة في فراشها فرأت امرأة قد دخلت عليها ووقفت بجانبها . فنظرت اليها فاذا هى الملكة وقد خاطبتها هذه بصوت خافت قائلة :

و بينما هم يبحثون وينقبون عن الملكة اثناء الليل شاهدوا في ضوء القمر رجلا فى ثياب رثة يحمل عكازاً فى يده وقدسقطت لحيته البيضاء الي وسطه وهو يسير ذهاباً وايابآ حول المعسكر

فقال آبى :

ـ من هذا الرجل ؟

فصاح الخيال بأعلى صوته قائلا :

ـ اسمعوا أيها المستشارون والقواد والجنود ورجال مصر قول آمون وأصغوا الى أمره بلسان رسوله كيفر الرحالة : لا ترفعوا سيفاً في وجه رامس ملك الحبشة لانه خادمي وسيكون ملكا عليكم وزوجاً لملكتكم وأباً لملوك سيأتون . اقبضوا على آبى المغتصب وقاتل فرعون أخيه وعلى كاكو الساحر ومرتيرا الخائنة وقودوهم وقت الفجر الى هيكلي فى ذلك التل حيث أعلن أوامرى لكم في معبدي وبهذه الوسيلة تعيشون فى سلام وأمان وترفل بلادكم فى حلل السعادة والهناء

سمع آبى هذه الكلمات الرهيبة وتذكر نبؤة فرعون الميت عن شحاذ يأتيه برسالة فجرد سيفه وحمل على كيفر ولكن ماكاد يصل اليه حتى كان الرجل قد اختفى . ثم لم يلبثوا أن سمعوه فى مكان آخر يعلن رسالته هذه فذهبوا اليه وكان ينادى بحكمه فوق السفن . ثم رأوه وهو يتنقل من سفينة الى أخرى

ثم عادت فنامت نوماً عميقاً الى الصباح . ولما استيقظت سألت عما أصابها اذ أحست بأنها تغيرت . فأجابتها آستي قائلة :

ـ ان « الروح » التى خرجت منك أيتها الملكة بأمر آمون قد عادت اليك ثانية بعد انتهاء مهمتها . قومي تزيني والبسي حليك لان هذا يوم نصرك وزواجك

خرجت كوكب عنـد شروق الشمس وهى أبهى من جمال الصبح فوجـدت رامس فى انتظارها على أبواب الهيكل وهو يلبس درعه . واذ ذاك سمع من خلال الضباب المخيم على سفح التل صوت يشبه صوت جيش سائر . فنظرت كوكب الي حبيبها وعلى فمها ابتسامة رقيقة وفى عينيها الزرقاوين معنى الحب مجسما وقالت :

ـ ما هذا الصوت يا رامس ؟

فحنى رأسه أمامها وقال :

ـ أظن أن آبي قد هاجمنا يا سيدتى . اني أخشى عليك لان رجالناقليلون ورجاله عديدون

فقالت بصوت عذب وتلك الابتسامة الرقيقة لاتزال مرسومة على فمها :

ـ لاتخف آبي ولا غيره يارامس . ولو أنه عليك فى هـذا اليوم أن تفتقد حرينك

فقاطعته كوكب قائلة :

ـ قف عن الكلام يارئيس الكهنة . لم أغادر معسكركم ولم اكن بينكم ولم تطأ قدماي أرض مصر المقدسة منذ عامين . نعم لم اكن بينكم منذ هربت من ممفيس لانقذ حياتى من الموت أو مما هو أمر وأدهي وهو عار زواجى كرهاً بعمى آبي قاتل فرعون

فحول رئيس الكهنة رأسه ونظر الى من كانوا خلفه فنظر الجميع الى الملكة

قال الكاهن

ـ عفواً أيتها الملكة . كيف يكون ذلك وقد رأينا جلالتك في خلال هذين العامين بيننا يوما بعد يوم كزوجة آبى ؟

فنظرت كوكب اذ ذاك الى آستى وكانت واقفة بجانبها . فنظرت هذه الى رئيس الكهنة وقالت

ـ انك تعرفنى . أليس كذلك ؟

أجاب

ـ نعم ياسيدتي اننا نعرفك فانت زوجة رمس آخر فرع من شجرة ملوكية ووالدة الامير رامس الذي حثنا لمتابانه . اننا نعرفك حق المعرفة يا سيدة السحر والاسرار فى مصر . لقد اعتقدنا بانك مت في هيكل « سخت » في ممفيس حيث مات فرعون ولكن عرفنا الآن انك تمكنت من الفرار من هناك بسحرك

لتحميني من جميع الاخطار . وقد أحدقت بى المشاق والاخطار فالت آستي والدتي من الرضاعة ومربيتي الكلمات الرهيبة التى علمتها اياها روح أهورا المقدسة أمي واستخرجت « كا » روحي وتركتها مكاني لتكون زوجة آبي . أما أنا فقد أنقذني آمون أبي ومعي آستي وحملنا في سفينة الشمس (رع) الى بلاد بعيدة وحمانا من أخطار عديدة الى أن وصلنا في النهاية الى مدينة ناباتا حيث وجدنا خادما أميناً اتفق انني . . . أحبه

ثم نظرت الى رامس وتبسمت ثم عادت الى الكلام فقالت .

ـ وكانت « روحي » في خلال تلك المدة تقوم بالاعمال التى عهدت اليها فحكمت في مصر بدلا مني وجرت آبي الى هلاكه على انها عادت الىّ ليلة أمس ولن يراها أحد اللهم الا في قبري بعد موتي . احكموا الآن وانظروا باعينكم هل قصتي صادقة وهل أنا حقيقة كوكب الصباح ابنة آمون

ثم فكت ماحول صدرها من الثياب وارتسم الرمز المقدس الذي طبع على صدرها وقالت

ـ أن رئيس كهنة آمون يعرف هذا الرمز لانه رآه يوم ولادتي

فاقترب الكاهن الشيخ ونظر الي العلامة وقال

ـ نعم هو رمز الحياة بعينه . هنا تضيء كوكب آمون دون غيرها . ومع ذلك لايزال الامر ملتبساً علينا . قصي علينا القصة يا آستي .

فتقدمت آستى وقصت القصة بحذافيرها أمام الجميع دون أن تنسى حادثاً صغيراً منها . وبعد مافرغت قص رامس قصته كذلك ثم أضافت كوكب اليها كلمات قليلة . ومع ان الشمس كانت قد ارتفعت فى السماء فانه لم يشعر أحد من الحاضرين بملل الاهم الا آبي وكاكو ومرتيرا . ولا عجب فقد كانوا يسمعون الحكم عليهم بالموت فى كل كلمة سمعوها

انتهى الجميع من قصتهم وخيم سكوت عظيم على المكان . وكان رئيس الكهنة واقفاً مطأطئ الرأس فى كل تلك المدة فرفع عينيه فى النهاية نحو السماء وقال بصوت جهورى

ـ أظهر ارادتك الآن أيها المعبود آمون والد روح هذه الملكة وأعلن مشيئتك لكي نذعن لها ونطيع

ساد السكوت لحظة ثم سمع فجأة صوت داخل المذبح المظلم حيث شيد تمثال المعبود يشبه صوت دق بطرف عصا على أرض المذبح المصنوعة من الجرانيت . وبعد هنيهة فتحت ستائر المذبح وظهر من بينها رجل هرم بلحية بيضاء طويلة وعينين منحجرتين يرتدي ثياب شحاذ . وكان هذا الرجل هو الرجل نفسه الذى قابل كوكب وآستى في الصحراء وأكل طعامهما . وهو الذى أنقذهما من يد ملك الصحراء . وهو الذى كان ليلة أمس فى معسكر آبي

فشخصت نحوه جميع الانظار وانتظر الكل أمره فقال :

ـ اسمعوا . أنا الرسول الذى يدعني الناس من البداية كيفر . أنا ساكن الصحراء الذى يعرفه أجدادكم وسيعرفه أبناؤكم . أنا الباحث عن أعمال البر والاحسان وأجازي عليها في الحياة وفي المات . أنا قلم « ثوث » المحصى . أنا سوط أوزوريس . أنا صوت آمون الاله الذى هوفوق الآلهة . اصغوا الىّ ياشعب مصر: لم تحدث هـذه الامور لأمر تافه ولـكن لـكي تعلموا ان في السماء أموراً تدبر وفى الارض عدالة وبعدها حساب ودينونة . لقـد قتل فرعون خادم الالهة قتلة شنيعة على يد أخيـه موضع ثقته ، وعرّضت كوكب الصباح ابنته وابنة آمون للذل والعار ، وأرسـل رامس سلالة الملوك الى تجشم الاخطار أو الى الموت بعيداً عن التى أحبها وأحبته بمقتضى ارادة ذاك المعبود المقدس الذي يهيمن على الافئدة ويسيطر على القلوب . . اسمعوا ارادة الآلهة — ليقترن رامس بن مرمس بكوكب الصباح ابنة آمون وليحكما مصر كارث لهما ولاولادهما من بعـدهما . أما هؤلاء السحرة والسفاحون — ثم أشار الى آبي وكاكو ومرتيرا — فليوضعوا داخل مذبح آمون حيث ينتظرون ماينقضى عليهم به

أبلغ كيفر رسالته ثم ذهب من حيث أتى فلم يره بعدها أحد أخـذوا آبي وكاكو ومرتيرا وفكوا قيودهم ثم ألقوهم في

ظلام المذبح أمام تمثال الاله الحجرى العظيم ثم قفلوا الابواب وتركوهم فى الداخل وهم يبكون ويصرخون

جاءت آستي فى صباح اليوم التالى وفتحت أبواب الهيكل ثم نظرت داخل المذبح فرأت منظراً مروعاً ذلك انها شاهدت آبى الذى قتـل أخاه وكاكو الساحر ومرتيرا الخائنة مطروحين على الارض وقد انتحروا أو قتل بعضهم بعضاً وعبنا المعبود الحجريتان تنظران اليهم

****

أما كوكب ورامس فقـد احتفل بزواجهما احتفالا عظيما فى هيكل آمون حيث وضع رئيس الكهنة يد كل منهما فى يد الآخر وأعلن زواجهما ثم باركهما بين هتاف الشعب وأفراحه

ولما فرغت الطقوس الدينية خرج فرعون وزوجته الملكه فى مركبة ذهبية سارت بهما بين جيوش مصر التى حيتهما قبـل سفرهما شمالا الى مدينة طيبة

وفى المساء عادا الى الهيكل وجلسا جنباً الى جنب فى مأدبة العرس . وقد ضربت الملكة كوكب الصباح مرة أخرى على عودها المصنوع من العاج والذهب وأنشـدت تلك الاغنيه القديمة ، أغنية الحب الذى صبر فنال

وهكذا كانت نهاية الحب الصادق

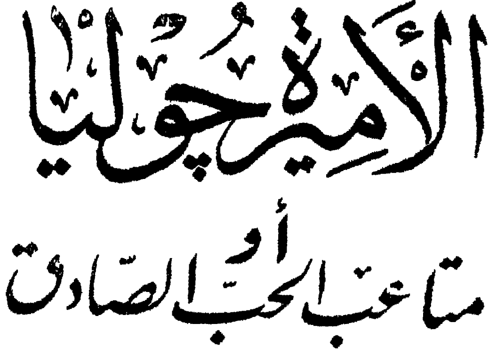
(انتهت)

تظهر قريبا



تأليف السير ريدر هجارد

وتعريب م . ع



عربها عن الفرنسية ـ نقولا ابراهيم ... اد

تطلب هذه الروايات من المكتبة التجارية بأول شارع ...
ومن مكتبة علي محمود الحلبي بشارع السكة الجديدة ...